وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثلجيي بالأغواط

كلية علوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

الموضوع :

العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية الأوربية خلال عهد يوسف باشا القرمانلي (بريطانيا وفرنسا أنموذجا) (1209-1247هـ /1795-1832م)

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ الحديث والمعاصر

تخصص :تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالب: غريس جلول

إشراف الأستاذ: أ/ جفال عمر

لجنة المناقشة:

-الأستاذ :	قفاف عبد الرحمان	رئيســـا
-الأستاذ :	جفال عمر	مشرفا و مقررا
-الأستاذ :	عطية محمد	مناقشـــا

السنة الجامعية :2017/2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

شکر و عرفان

شكر و تقدير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على معلم البشرية وهادي الإنسانية وعلى آله

وصحبة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا العمل,و إلى كل من كان سببا في تعليمي وتوجيهي و مساعدتي.

إلى الأستاذ الفاضل المشرف جفال عمر .

الذي لم يدخر جهدا في إرشادي وتوجيهي أثناء عملي في هذا البحث

وقبل أن نمضي نقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا راية العلم أقدس رسالة في الحياة

وإلى جميع أساتذتنا الأفاضل.. الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة.

الإهـــــــــــــــداء

الإهـــــــــــــــــــــــــداء

أتوجه بالشكر الجزيل لله سبحانه وتعالى الذي منّ عليّ بفضله وكرم نعمه

ثمّ فضاء الحنان والعطاء الوالدين الكريمين حفظهما الله

إلى زوجتي وأبنائي إسلام الحاج عيسى ومحمد العربي

إلى كل العائلة الكريمة صغيرا وكبيرا

إلى كل الأصدقاء والزملاء

إلى الذين صنعوا هذا التاريخ بدمائهم وأقلامهم

إلى كل من يعرفني

إلى وطني الغالي الجزائر

أهدي...

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

1- باللغة العربية:

الرمز	المعني
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
ط	الطبعة
ج	الجزء
ب.ت	بدون تاريخ
تح	تحقيق
تر	ترجمة

2- باللغة الاجنبية:

المعنى	الرمز
page	P
Production	pr
IBIDEM	ibid
Ouvrage	opat

المقـــــــــدمة

مقدمـة :

- **التعريف بالموضوع وأهميته التاريخية :**

يعد موضوع العلاقات السياسية بين الدول من أهم المواضيع التي تحتاج إلى دراسة وبحث معمق وتعتبر العلاقة الدبلوماسية بين ايالة طرابلس الغرب ودول غرب أوربا في عهد (يوسف باشا القرمانلي) موضوعا بالغ الأهمية حيث كانت طرابلس الغرب ذات الأهمية الاستراتيجية في منطقة حوض البحر المتوسط تعد قوة بحرية يحسب لها ألف حساب، كما أن الحقبة التاريخية الخاصة بالأسرة القرمانلية أثناء حكم (يوسف باشا) مليئة بالأحداث والاضطرابات الداخلية والتغيرات الخارجية حيث شهدت صراع وتنافس اكبر دولتين أوربيتين عسكريا آنذاك هما انجلترا وفرنسا سعت كل منهما للهيمنة والسيطرة على طرابلس الغرب واستعملتا علاقاتهما الدبلوماسية بالإيالة لتحقيق أهدافهما الاستعمارية وهنا يأتي دور القناصلة الانجليز والفرنسيين في تغيير وتوجيه مسار الأحداث السياسية الداخلية والخارجية في طرابلس الغرب وصولا إلى تدهور العلاقات بينهما والدور الأبرز في انهيار الحكم القرمانلي، وقد ركزت في بحثي على القنصل الانجليزي وارنجتون، والفرنسي روسو لما لهما من تأثير كبير على علاقة دولهما بالإيالة الطرابلسية.

- **دواعي اختيار الموضوع :**

يعتبر موضوع العلاقات الدبلوماسية بين أيالة طرابلس الغرب وانجلترا وفرنسا خلال عهد يوسف باشا القرمانلي (1795-1832) من المواضيع الهامة، وتم اختياري لهذا الموضوع لما شكله من أهمية خاصة لدي للتعرف على الأوضاع الدبلوماسية بينهم والدور البارز الذي لعبه القناصلة الانجليز في رسم الحياة السياسية لطرابلس الغرب ومدى التأثير والتأثر بين هؤلاء القناصلة و يوسف باشا القرمانلي ، ونجد ان هذا الشق من

الدراسة مازال يحيطه بعض من الغموض ولم ينل بعد ما يستحقه من عناية واهتمام خاصة واني لم اعثر على دراسة أكاديمية أفردت هذا الموضوع بدراسة مستقلة وواضحة المعالم، فارتأيت أن يكون موضوع بحثي الموسوم بـ:

العلاقات الطرابلسية الأوربية خلال عهد يوسف باشا القرمانلي (بريطانيا وفرنسا نموذجا) (1209-1247هـ /1795-1832م)

الهدف من الدراسة :

جاء الهدف من الدراسة لتسليط الضوء على العلاقة الدبلوماسية لطرابلس الغرب مع انجلترا وفرنسا خلال عهد يوسف باشا القرمانلي ومدى تأثير القناصلة الانجليز والفرنسيين على مسار الحياة السياسية للإيالة والتنافس الاستعماري عليها وصولا إلى انهيار حكم الأسرة القرمانلية .

- **الإطار الزماني والمكاني للدراسة :**

تم تحديد الإطار الزماني للدراسة بفترة حكم يوسف باشا القرمانلي (1795-1832) باعتبار أن البحث جاء خلال فترة حكمه لطرابلس الغرب ،أما الإطار المكاني فهو طرابلس الغرب (ليبيا الحالية) والدول التي لها علاقة بها دبلوماسيا وخاصة انجلترا وفرنسا .

- **إشكالية البحث الرئيسية :**

يمكن تحديد إشكالية هذا البحث في طبيعة العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية مع انجلترا وفرنسا في عهد يوسف باشا القرمانلي ودور القناصلة الانجليز والفرنسيين في رسم الخريطة السياسية وصولا إلى انهيار حكم الأسرة القرمانلية التي اندرج تحتها جملة من التساؤلات.

- **التساؤلات الفرعية :**

1- متى كانت بداية التمثيل الدبلوماسي لإنجلترا في طرابلس الغرب؟

2- من هو القنصل وارنجتون 1814-1826 وما هي أهم نشاطاته؟

3- ماهي عوامل التقارب الطرابلسي الفرنسي ولماذا الحاجة إلى بناء علاقات ودية بينهما ؟

4- كيف أثرت معاهدة 1801 على العلاقة بين فرنسا وطرابلس الغرب ؟

5- كيف كانت موقف طرابلس الغرب من احتلال فرنسا للجزائر 1830 ؟

6- ما مدى تأثير مسألة الديون الفرنسية والانجليزية على العلاقة بينهما وبين طرابلس الغرب ؟

7- ما هو الدور الذي لعبه القناصلة الانجليز والفرنسيين في التدهور الاقتصادي الطرابلسي ؟

8- كيف عجل ضعف شخصية يوسف باشا القرمانلي أمام القناصلة على نهاية الحكم ؟

9- لماذا تنازل يوسف باشا عن الحكم لابنه علي بك؟

- **الدراسات السابقة :**

هناك دراسات وإشارات حول الموضوع وردت في العديد من الأبحاث والدراسات السابقة و منها:

(الدبلوماسية الليبية في ق 18 للكاتب والمؤرخ محمد مصطفى بازاما) حيث تطرق إلى العلاقة الدبلوماسية الليبية والتمثيل القنصلي بالإيالة لمعظم الدول الأوربية في ق 18 كما نجد كتاب العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا 1795-1832 لصاحبه عبد الله خليفة الخباط والذي تناول فيه جزء العلاقة الدبلوماسية بين طرابلس الغرب وانجلترا خلال عهد يوسف باشا القرمانلي والمتعلق بالعلاقة بانجلترا بالإضافة إلى أطروحة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر وتحت عنوان العلاقات السياسية والتجارية بين

ليبيا ودول غرب أوربا المتوسطية لصاحبها (أمحمد سعيد سالم الطويل) والتي تكلمت في جزء منها على العلاقة الدبلوماسية مع فرنسا وأخيرا (انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795-1835 لصاحبه عمر علي بن اسماعيل) والذي جاء فيه دور القناصلة الانجليز والفرنسيين في انهيار حكم الأسرة القرمانلية ، إلا أن هذه الدراسات تفتقر إلى التخصص في التعريف بالدبلوماسية الطرابلسية الخارجية مع انجلترا وفرنسا.

- **المنهج المتبع :**

لدراسة هذا الموضوع اعتمدت على **المنهج التاريخي التحليلي** الذي يعتمد على رصد وتتبع الأحداث التاريخية وتحليلها بالإضافة إلى **المنهج المقارن** وهذا من اجل مقارنة العلاقات الدبلوماسية الانجليزية مع الفرنسية في طرابلس الغرب .

- **محتوى الدراسة :**

اعتمدت في بحثي هذا على خطة اشتملت على مقدمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة وذلك من أجل الإحاطة بجميع عناصر البحث الضرورية أما **الفصل التمهيدي** جاء تحت الوضع الجيوسياسي لإيالة طرابلس الغرب خلال العهد القرمانلي والذي بدأته بدراسة جغرافية لطرابلس الغرب شملت أصل التسمية والموقع والمساحة والأبعاد لطرابلس الغرب (ليبيا الحالية) ثم انتقلت إلى التعريف بالوضع السياسي الداخلي لطرابلس الغرب قبل وصول يوسف باشا إلى الحكم ، ثم إلى العلاقات الخارجية مع فرنسا وانجلترا قبل مجيء يوسف باشا ثم ختمت الفصل التمهيدي ببداية التنافس الانجليزي الفرنسي حول طرابلس الغرب قبل عهد يوسف باشا القرمانلي .

أما **الفصل الأول** فيتكلم عن العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية مع انجلترا خلال عهد يوسف باشا القرمانلي والذي جاء فيه بداية التمثيل القنصلي الانجليزي مع طرابلس الغرب واختيار وارنجتون قنصلا انجليزيا في طرابلس والتي استمرت فترة تمثيله القنصلي (1814-1826) والتي كانت مليئة بالأحداث والنشاطات في الإيالة كما تم التطرق إلى دور القنصل الانجليزي في العلاقات الطرابلسية الخارجية والثورات الداخلية.

أما **الفصل الثاني** فجاء تحت عنوان العلاقات الطرابلسية مع فرنسا خلال عهد يوسف باشا القرمانلي وتم البحث عن عوامل التقارب الفرنسي الطرابلسي والحاجة لبناء علاقات الودية بينهما مع إظهار أهمية معاهدة 1801م في عودة العلاقات الطرابلسية الفرنسية الودية ، كما تم التعرف في هذا الفصل كذلك إلى موقف طرابلس الغرب من احتلال فرنسا للجزائر 1830 م والذي كان موقفا متميزا .

أما **الفصل الثالث** تناولت فيه توتر العلاقات الطرابلسية مع انجلترا وفرنسا ، و التنافس الاستعماري بينهما حول الإيالة و مسألة الديون والتي جاءت مباحثه حول المطالبة بسداد الديون الفرنسية والانجليزية وأثرها على العلاقات مع طرابلس الغرب والضغط العسكري الانجليزي والفرنسي على يوسف باشا بسداد الديون وتوقف العلاقات في كثير من الأحيان بينهما إلى غاية محاولة يوسف باشا لإعادة العلاقات بينهما وديا .

أما **الفصل الرابع والأخير** فعالجت فيه التدهور الاقتصادي وانهيار الحكم القرمانلي والذي جاء فيه دور القناصلة الانجليز والفرنسيين في تدهور اقتصاد ايالة طرابلس الغرب ثم التطرق إلى ضعف شخصية

يوسف باشا القرمانلي أمام القناصلة ونهاية حكمه إلى غاية تنازل الباشا عن الحكم لابنه علي بك وصولا إلى غاية انهيار الحكم القرمانلي بأكمله .

وقد ختمت بحثي هذا بجملة من النتائج التي توصلت إليها بعد دراسة الفصول السابقة .

- **التعريف بأهم المصادر والمراجع المعتمد عليها في الدراسة :**

للإجابة على الإشكالية الرئيسية والتساؤلات الفرعية، اعتمدت على عدة مصادر ومراجع عربية وأجنبية، احتوت اغلبها على إجابات للأسئلة المطروحة في الإشكاليات الفرعية وكان أهمها :

-كتاب:شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الايطالي لطرابلس والذي تعرض في بعض فصوله إلى العلاقات السياسية الطرابلسية مع بلدان أوربا الاستعمارية خاصة انجلترا وفرنسا خلال عهد يوسف باشا القرمانلي.

-كتاب: طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي لصاحبه رودولفو ميكاكي والذي كانت دراسته متخصصة في تاريخ طرابلس الغرب خلال حكم الأسرة القرمانلية وتطرق خلال فصوله إلى أهم العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأوربية وعلى رأسها انجلترا وفرنسا وتأثير قناصلتهما على حكم الأسرة القرمانلية.

-كتاب: المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب لكاتبه أحمد بك الأنصاري والذي شملت دراسته كل تاريخ طرابلس الغرب وكل فتراتها منذ القدم وصولا إلى العهد القرمانلي ودراسة علاقاتها الخارجية .

- كتاب: تاريخ طرابلس العرب لمؤلفه محمود ناجي والذي جاء في محتواه دراسة لطرابلس الغرب وعلاقاتها الخارجية .

- كتاب : النشاط الليبي في البحر الأبيض المتوسط في عهد الأسرة القرمانلية 1711-1835 وأثرها على علاقاتها بالدولة الأجنبية لصاحبه د.محمد الهادي عبد الله أبو عجيلة والذي تناول جزء كبير من العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية مع البلدان الأجنبية خاصة الأوربية وعلى رأسها فرنسا وانجلترا .

- الصعوبات المعترضة:

أكيدان هناك جملة من الصعوبات التي اعترضت بحثي والمتمثلة في ضيق الوقت وارتباطاتي الخارجية إضافة إلى نقص المادة العلمية المتخصصة في الدبلوماسية الطرابلسية ، ولا أزعم أنني استوفيت الموضوع من جميع جوانبه لكن أجدني قد أصبت في الكثير من عناصره وجوانبه لكن حسبي أنني بذلت جهدا متواضعا، وفي الأخير عسى أن تشكل هذه المساهمة منطلقا لدراسات مستقبلية لتاريخ طرابلس الغرب الدبلوماسي.

الفصل التمهيدي

I –الوضع الجيوسياسي لإيالة طرابلس الغرب خلال العهد القرمانلي

المبحث الأول:دراسة جغرافية

المبحث الثاني: الوضع السياسي الداخلي لطرابلس الغرب قبل وصول يوسف باشا إلى الحكم

المبحث الثالث: العلاقات الخارجية مع انجلترا و فرنسا قبل تولي يوسف باشا الحكم

I. الوضع الجيوسياسي لإيالة طرابلس الغرب خلال العهد القرمانلي:

المبحث الأول: دراسة جغرافية:

أ-أصل التسمية:

نجد أن الكثير من المصادر التاريخية تقول أن الفينيقيين أنشأوا مدينتين باسم " طرابلس " الأولى على الساحل الشمالي اللبناني، والثانية على الساحل الإفريقي سميت " بطرابلس الغرب " لتمييزها عن الأولى [1].

وقيل كذلك أن(طرابلس الغرب) متكونة من مقطعين هما "TRI"وتعني ثلاث، و "polis" وتعني مدينة وعند جمعها تصبح "tripolis" أي المدن الثلاث والمدن هي " صبراتة sabrat" ، " أويا (Oea)"، و" لبدة leptis" حسب ما جاء في تهميش الصفحة 17 من كتاب الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب قبيل العهد العثماني الثاني لصاحبه د. كامل مسعود الوبيه .

أما بالنسبة لتاريخ تداول هذه التسمية (طرابلس الغرب) فنجدها قد عرفت بهذا الاسم (تريبوليتانياtripolitania) لأول مرة في القرن الثالث بعد الميلاد[2].

وجاء في كتاب المنهل العذب في تاريخ طرابلس العرب انه ضبط اسمها على ما في القاموس معناها ثلاث مدن، وذكر البكري وغيره أنها بزيادة ألف قبل الطاء أي " أطرابلس "، وقال التيجاني في رحلته واختار بعضهم زيادة الألف وفي الشامية إسقاطها[3].

[1]- محمود ناجي ، تاريخ طرابلس الغرب، تر-عبد السلام أدهم ومحمد أسطى، دار الفكر، طرابلس، 1995 ، ص 21 .

[2]- أتوري روسي، ليبيا من الفتح العربي حتى سنة 1911، تر- خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، مكتبة الإسكندرية مصر، ص 25.

[3]- أحمد بك التائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس العرب،منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ص09.

ب-الموقع الجغرافي لطرابلس الغرب:

تقع طرابلس الغرب ليبيا الحالية في قلب شمال إفريقيا حيث يبلغ طول ساحلها على البحر الأبيض المتوسط 1900 كيلومتر، وتمتد أراضيها من وسط ساحل شمال إفريقيا على البحر الأبيض المتوسط حتى مرتفعات شمال وسط إفريقيا، يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق مصر وجزء من السودان، ومن الجنوب النيجر وتشاد، وفي أجزاء من الجنوب والغرب تتصل بالجزائر وفي الشمال الغربي بتونس[1]. (انظر الملحق رقم 1)

ج-المساحة والأبعاد:

تقدر مساحة طرابلس الغرب ليبيا الحالية بـ 1759540 كلم^2، ويبلغ إجمالي حدودها قرابة 6500 كلم منها 4600 كلم برية و1900 بحرية موزعة على النحو التالي[2]:

تونس	النيجر	تشاد	الجزائر	السودان	مصر
500كلم	150 كلم	1090 كلم	1200 كلم	400 كلم	1094 كلم

المبحث الثاني: الوضع السياسي الداخلي لطرابلس الغرب قبل وصول يوسف باشا إلىالحكم:

شهدت طرابلس الغرب عبر تاريخها الطويل الكثير من الأحداث الحافلة بالعديد من المتغيرات على جميع الأصعدة نتيجة عدم الاستقرار السياسي الذي عاشته البلاد منذ خضوعها للحكم العثماني في النصف الثاني من القرن السادس عشر ميلادي بعد طرد فرسان مالطا والاسبان ، ففي الفترة الأولى

1- هنري حبيب، ليبيا بين الماضي والحاضر، تر- شاكر إبراهيم، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والطباعة، طرابلس ليبيا، 1981، ص 15.

2- جفال عمر ، دور هيئة الأمم المتحدة في استقلال ليبيا ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر 2012 ، ص 48.

للسيطرة العثمانية ومن بعدها حكم الأسرة القرمانلية*، كانت طرابلس الغرب في مجملها عبارة عن مناطق بدوية يعتمد سكانها على وسائل الحياة البسيطة دون وجود مؤسسات تواكب تطور الحياة باستثناء بعض المراكز الدينية الموزعة في مناطق التجمعات السكانية، وجاء حكم القرمانليين بعد ان سئم الأهالي من الاضطرابات والخوف ، وعدم الطمأنينة على الأموال والأعراض[1]، ومما زاد الحالة سوءا هو الضرائب التي كانت مفروضة على الأهالي حيث أثقلت كاهلهم، وحالة العليان والاضطرابات ، فالشعب ساخط على حكامه ، والجند مسيطر على زمام الأمور في البلاد، والعصبيات المحلية تتصارع من أجل الوصول إلى الحكم إلى ان أشرق فجر يوم 28 يوليو 1711، وإذا بالشعب يعبر عن إرادته باختياره لأحمد باشا القرمانلي* واليا على البلاد[2] وكانت البلاد تمر في هذا الوقت بأحرج فترات تاريخها، واشتد التطاحن بين العصبيات ولكن احمد لم يشأ ان يكون طرفا في هذا التطاحن .

ولم يقتصر نشاط أحمد باشا القرمانلي، على الاهتمام بالحصول على فرمان التولية من السلطان العثماني فقط، بل كان يعمل على تثبيت دعائم حكمه في الداخل[3]، وقد رسم خطة محكمة لإقامة وفرض حكمه في البلاد وقادتها، وبدأ يركز جهده لبناء مجد دولته الفتية،فاهتم بالتجارة الداخلية والخارجية، فشيد العديد من الفنادق لراحة التجار، ونشر الأمن في ربوع البلاد، فأصبحت ملتقى التجار من مختلف الأقطار.

* الأسرة القرمانلية- يعود أصل التسمية إلى جد القرمانليين الذي كان بحارا من قرمان بالأناضول وقدم إلى طرابلس واستقر بها وتزوج من عربية من سكانها واستمر أحفاده بمصاهرة العرب، انظر ابن غلبون ص 190.

1-علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت،1997 ص 51.

* أحمد باشا القرمانلي- من مواليد طرابلس الغرب، جده مصطفى القرمانلي مؤسس الأسرة القرمانلية، انظر ابن غلبون،التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار،تح- احمد الطاهر الزاوي، مكتبة النور، ط2 ، طرابلس ، ليبيا ، 1927 ، ص 190.

2-عمر علي بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا (1795-1835)، مكتبة الفرجاني، طرابلس،ليبيا، ط1، بيروت ،1996، ص ص 32-33.

3- ميكاكي رودلفو، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، تر- طه فوزي ، نشر مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، مصر 1961، ص 21.

كما استطاع ان يجعل للبلاد شخصيتها الدولية ومكانتها الخاصة، فكان لها العديد من قناصله من عواصمهم الدول الأوربية ، ولكن فقدانه لبصره ، وشعوره بالعجز أجبره على وضع حدا لحياته بأن أطلق رصاصة من مسدسه على نفسه يوم الخميس 10 شوال 1157هـ الموافق لـ 04 نوفمبر 1745م ، وهو اليوم الذي تولى فيه ابنه محمد الحكم[1]، ثم اخذ في الاهتمام بالجيش والأسطول، كما استطاع ان يقضي على كل حركات التمرد والعصيان، فكان يعدم كل متآمر، بل وكل مشتبه في ولائه له ولم يسلم من ذلك حتى أقربائه[2]، إلى ان بدأت بعض التوترات مع القوى الأوربية التي بدأت في استعراض قوة أساطيلهاأمام شواطئ مدينة طرابلس والتي فرضت على الباشا عقد معاهدة نصت على ان تكون ايالة طرابلس الغرب على الحياد في حالة الحروب في حوض البحر الأبيض المتوسط بتاريخ 29 شوال 1124 الموافق 20 سبتمبر 1751[3].ولا شك ان الباشا بقبوله لهذا الاتفاق والاتفاق السابق قد أساء إلى كرامة شعبه، كما حفز الدول الأوربية التي أخذت تتطلع إلى المزيد من الانتصارات ، ولكن شاء القدر ان يعجل بوفاته، فقد توفي في 24 يوليو1754 وخلفه ابنه علي في حكم البلاد ، وكانت البلاد تمر بظروف سياسية واقتصادية حرجة، واستطاع زعماء الانكشارية الذين أجلسوه على كرسي الحكم ان يسيطروا على شخصيته ، فيوجهونها حسبما يحلوا لهم ، وظهرت التحرشات الخارجية من جديد حيث استطاع الأسطول الفرنسي ان يجبر علي باشا ان يتعهد بكل صراحة على انه سوف يعدم كل مغامر يقوم بأعمال العنف ضد أية سفينة فرنسية وتعلق جثته عليها[4]، ونتيجة هذه الظروف جميعها هو فقدان الباشا علي على سيطرته على زمام الأمور في البلاد،فانتشرت الفوضى واشتعلت نار الحرب بين القبائل.

[1]- شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي لطرابلس، تع وتح- محمد عبد الكريم الوافي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان،ط2،طرابلس، 1973، ص ص 60-61.

[2]- عمر علي بن إسماعيل،المرجع السابق، ص45.

[3]- انظر النص الكامل للمعاهدة لدى رودلفوميكاكي،المرجع السابق، ص 87.

[4]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص47.

واشتد الضائقة الاقتصادية، حتى عجز الباشا عن دفع رواتب جنده ففقد بذلك ولاء الكثيرين منهم [1].

وفي السنوات الأخيرة من حكم علي باشا حدث نزاع بين أفراد أسرته، وتمكن يوسف باشا*من قتل أخيه الابن الأكبر حسن بك ولي العهد، وحاول محاصرة القلعة ومحاربة أبيه والسيطرة على الحكم، وفي هذه الأثناء قدم أسطول إلى طرابلس يوم 29يوليو1793، يحمل العلم العثماني وتحت قيادة شخص يدعى علي برغل *ومعه حوالي أربعمائة رجل مدججين بالسلاح، وهنا تقدم واحد منهم وتلا فرمان بعزل علي باشا وتولية علي برغل خلفا له، وأمام ذلك هرب علي باشا القرمانلي وأبناؤه إلى تونس.

استطاع أبناء علي باشا القرمانلي الرجوع بمساعدة حمودة باشا حاكم إيالة تونس وطرد علي برغل الجزائرلي من حكم طرابلس الغرب وتولية الابن الأكبر لعلي باشا السيد أحمد باشا القرمانلي[2].وكان رجوعهم على ظهر سفينة إنجليزية، كماتم تقديم مساعدات عسكرية من سفن وسلاح للجنود القرمانليين[3]، وهنا قدم أحمد باشا القرمانلي الشكر والامتنان على هذا التعاون إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث، وأكد له أنه على طريق آبائه وأجداده سائر، وأنه سيبذل جهده من أجل المحافظة على العلاقة الطيبة بين البلدين.

المبحث الثالث: العلاقات الخارجية مع انجلترا و فرنسا قبل تولي يوسف باشا الحكم:

أ- علاقتها مع إنجلترا:

شهدت طرابلس الغرب ازدهارا وتطورا في النشاط البحري بعد وصول الأسرة القرمانلية إلى الحكم ، وازداد النشاط الدبلوماسي وربط العلاقات السياسية الخارجية مع الدول الأجنبية خاصة مع إنجلترا وفرنسا ،

[1]- عمر علي بن إسماعيل، المرجع السابق ، ص50.

*- يوسف باشا القرمانلي- عاش مابين(1766-1838) معروف بباشا طرابلس ,و هو أشهر شخصية في سلالة القرمانليين, والتي حكمت ليبيا الحالية ما بين (1711- 1835) .

*- علي برغل- من أصل انكشاري من بلاد جورجيا أقام بالجزائر مدة طويلة وعمل بها بحارا لذا لقب بالجزائرلي، وكلمة برغل بالتركية تعني القمح المسلوق المكسر وذلك لأنه كان طعام جنود البرغل بدل الأرز، انظر تهميش، عبد الله خليفة الخياط،العلاقات السياسية بين ايالة طرابلس الغرب وانجلترا 1795-1832، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان،طرابلس،ليبيا،1985، ص36.

[2]-أحمد بن الضياف،إتحاف أهل الزمان في أخبار تونس وعهد الأمان, تح - لجنة كتابة الدولة لشؤون الثقافية ،نشر كتابة الدولة لشؤون الثقافية والأخبار،ج3, تونس، 1963 ص 25.

[3]- المصدر نفسه، ص 25.

واستطاعت الحكومة الإنجليزية الوصول إلى ايالة طرابلس الغرب وتوطيد علاقات سياسية معها، وكانت التجارة العامل الأساسي في تنمية هذه العلاقة بين البلدين حيث تطورت مع مرور الوقت، خاصة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث أصبحت تدر مبالغ طائلة على الطرفين، وأصبحت إنجلترا من أوائل الدول التي تستورد الحلفاء من طرابلس الغرب، ويجني التجار الانجليز الذين يعملون في تجارتها ربحا صافيا مقداره فرنك واحدا أو اثنان في الليلة الواحدة[1].

وللتعرف على علاقة طرابلس الغرب مع إنجلترا سياسيا ودبلوماسيا، لا بد أن نتعرف على حيثيات هذه العلاقة في عهد حكم أفرادا لأسرة القرمانلية وصولا إلى عهد يوسف باشا القرمانلي* والتي تعتبر فترة حكمه موضوع المذكرة التي سنقدمها في الفصول القادمة.

فمع بداية حكم أحمد باشا القرمانلي جاء أسطول بحري انجليزي يتكون من خمس قطع بحرية، يرغب في تجديد الاتفاقيات المبرمة سابقا مع الإيالة، لكن قائد هذا الأسطول لم يحضر معه الهدايا المعتادة، وهذا ما أثار غضب الباشا وأمر بعدم تزويد هذا الأسطول بالمؤونة.

وهنا أدركت الحكومة الإنجليزية بلندن أثر هذا التصرف وعملت على ضرورة التقارب والحصول على كسب رضا الباشا بحماية سفنها التجارية في مياه البحر الأبيض المتوسط فأوفدت سنة 1143 هـ - 1730 م، الأميرال " كافانديشcavendish" لتأكيد نصوص الاتفاق المبرم في المعاهدة السابقة لسنة 1699 م مع إدخال بعض التعديلات عليها [2].

كما طلب الباشا القرمانلي من الوزير الإنجليزي " نيوكسليnewcesly" تغيير القنصل الإنجليزي "ريد reid"الذي عين سنة 1734م، وتعيين القنصل الانجليزي " صامويل بزديكsamualbazdak" الذي كان يتمتع بأخلاق طيبة ونال محبة الناس في طرابلس الغرب ورضا الباشا القرمانلي، على عكس السيد ريد

1- محمود ناجي، المرجع السابق، ص 36.

2- أتورى روسي، المرجع السابق، ص 283.

الذي كانت أخلاقه وأعماله غير مرضية، وهذا كله من اجل استمرار العلاقة بين الدولتين كما تنص عليه الاتفاقيات المتفق عليها سابقا بينهما[1] .

أما بالنسبة لمحمد باشا القرمانلي فشهدت فترة حكمه شيء من الهدوء والاستقرار، فقد استجاب إلى الحكومة الإنجليزية التي عرضت عليه الصلح والاتفاق، وأبدت رغبتها في مزيد من التعاون بين البلدين.

وهكذا فقد أرسل " جورج الثاني " ملك إنجلترا القائد "أغوستوسagustus" والقنصل الإنجليزي "روبرت دايت robert diet" كممثلين عنه في التباحث مع الباشا الطرابلسي،وإبداء الرغبة في الصلح والاتفاق،فاستقبلا بالحفاوة والترحاب بعد وصولهما طرابلس الغرب، وتم الاتفاق بينهما وتوصلا إلى إبرام اتفاقية حررت بتاريخ 29 شوال 1164هـ الموافق لـ 19 سبتمبر 1751م وتضمنت عدة نقاط أهمها:

- احترام الطرفان لبنود المعاهدة وعدم الإخلال بها وصيانتها مع تبادل الوثائق في الحال.
- إبراز بعض مواد هذه الاتفاقية أهمية طرابلس الغرب لمركز هام تجاري للبضائع الإنجليزية.
- إعطاء مزايا كبيرة للأسطول التجاري الإنجليزي والتجار الانجليز بالإيالة الطرابلسية التي لم يحصل عليها مثلهم من الأوربيين[2].

وفي عهد علي باشا القرمانلي شهدت العلاقات الإنجليزية الطرابلسية تحسنا ملحوظا، فقد أسرع ملك إنجلترا " جورج الثالث "حال تولي علي باشا الحكم عقب وفاة أبيه بإرسال هدايا ثمينة له بمناسبة توليه مقاليد الحكم.

لقد احترم علي باشا القرمانلي نصوص الاتفاقية المبرمة في عهد والده مع حكومة إنجلترا، وبعد وفاة ملك إنجلترا جورج الثاني وتولي ابنه جورج الثالث الحكم أرسل علي باشا إلى القنصل الإنجليزي بالإيالة السيد روبرت وايت أحد كبار أعوانه يخبره بأنه مازال على العهد وفيا كما كان إباؤهوأجداده، كما ابلغه

1- أتورى روسي، المرجع السابق، ص 284.

2- ميكاكي رودلفو،المرجع السابق، الوثيقة رقم 2،الملحق، ص ص 8-12.

رغبته في تجديد بنود المعاهدة المبرمة في عهد والده، فرحب الملك بهذه الدعوة وكلف القنصل الإنجليزي بالإيالة روبرت وايت بالتباحث في هذا الأمر[1].(أنظر الملحق رقم 03)

وظلت العلاقات الطرابلسية الإنجليزية هادئة إلى غاية اعتراض بحارة طرابلسيين لسفينة انجليزية والتي أخذت بالقرب من بورت ماهون * ونقلت إلى ميناء طرابلس البحري وأخذت البضاعة التي كانت تحملها ومحاولة قائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط إلى علي باشا للتفاوض معه على تسوية الديون المتعلقة بين البلدين وإنهاء المشاكل القائمة لكن دون جدوى، حيث أثار ذلك استياء الحكومة الإنجليزية وملكها الذي حاول إنهاء هذا الأشكال والحصول على ترضية من قبل الباشا الطرابلسي بتسليم السفينة وتعويض بحارتها عن البضاعة التي أخذت من على متنها .

ثم دخلت العلاقات بين البلدين مرحلة جديدة بتعيين السيد " ريتشارد توللي"richard tolly قنصلا جديدا للحكومة الإنجليزية في ايالة طرابلس الغرب، وكان هذا القنصل على اتصال مستمر بالأحداث الاجتماعية الواقع بالبلاد، إلى غاية إنهاء خدماته كقنصل انجليزي في طرابلس الغرب، وعيّن بدلا منه السيد " سيمون لوكاس"simoun lucas واستجاب هذا القنصل للكثير من مطالب السكان إلا طائفة ارباب التجارة من اليهود فقد رفض ان يدفع لهم ديونهم معتذرا انه لا يستطيع أداءها إلا بعد وصول الإذن له من حكومته الإنجليزية بلندن.

[1]- عبد الله خليفة الخباط، العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا 1795-1832م،ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، 1985، ص 31.

* بورت ماهون- قصبة جزيرة مينورقة ثانية جرز البليار غربي البحر الأبيض المتوسط ، تغيرت السيادة على هذه الجزيرة أكثر من مرة وتنازعت عليها فرنسا وانجلترا ، ولكن منحت في النهاية لإسبانيا بصفة نهائية سنة 1802 م

ب- علاقة طرابلس الغرب مع فرنسا:

في هذا المبحث نتناول العلاقة الطرابلسية الفرنسية منذ تولي احمد باشا القرمانلي الحكم سنة 1711وحتى وصول يوسف باشا إلى الحكم في يونيو 1795 وما شهدته في أحداث على الصعيدين السياسي والدبلوماسي.

رغم توافد مجموعة من القناصلة الفرنسيين على طرابلس الغرب إلا أنهم لم يفلحوا في تلطيف الأجواء المشحونة بين البلدين ، خاصة بعد التقارب الدبلوماسي مع إنجلترا ، وقضية الديون والأسرى الفرنسيين لدى طرابلس الغرب وفشل القنصل الجديد مارتان(martin) في حل هذه المشاكل وانتصار احمد باشا ورجاله ورفضهم للاستسلام والتهديد[1]، وهنا بدا ان الطرفين الطرابلسي والفرنسي كانا في حاجة للسلام والوصول إلى تسوية المشاكل العالقة بينهما، فتم الاتفاق على عقد معاهدة بتاريخ 9 يونيو 1729 والتي احتوت على تسعة وثلاثين مادة، وهي قريبة سابقاتها فقد نصت على إطلاق سراح الأسرى الفرنسيين وتنظيم المعاملة بين الطرفين في البر والبحر وحددت مدة هذه المعاهدة في المادة 39 بمائة سنة ، والحق بالمعاهدة خطابا أرسله احمد القرمانلي إلى ملك فرنسا شرح فيه رغبته في السلام والصداقة معه[2].

وتمت تسوية بعض الأمور بسلام وتنصيب القنصل(ريموندسداللونraimoondisdallon)وسط احتفال بهيج الأمر الذي يؤكد عودة السلام بين البلدين الذي استمر وبلا انقطاع طوال حياة احمد القرمانلي ، وحتى عند تولي ابنه محمد الحكم الذي أوصاه بأمرين : أولا احترام فرنسا ، وقبيلة المحاميد*ونجد ان خلفاء احمد القرمانلي قد عملوا بهذه الوصية ، فلم تقم حرب بين البلدين طوال حكم الأسرة القرمانلية

---

[1]- ابن غلبون محمد بن خليل،التذكار فيمن ملك طرابلس ومن كان بها من أخيار ، تح ، أحمد الطاهر الزاوي ، مكتبة النور ، ط2طرابلس 1967 م ، ص 302.

[2]- انظر- النص الكامل لهذا الخطاب لدى شارل فيرو، المصدر السابق، ص 398/397.

- قبيلة المحاميد - إحدى القبائل الليبية التي يرجع أصلها إلى قبيلة بني سليم العربية اشتهرت بمناهضتها للحكم العثماني حتى سنة 1758 عندما قتل زعيم زعيمها غومة المحمودي- انظر محمد أمحمد الطوير، مقاومة الشيخ غومةالمحمودي للحكم العثماني ، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس ، 1988 ، ص 301-305 .

أصبح السلم هو الطابع الغالب في العلاقة بينهما، وكانت هناك زيارات متبادلة بين الطرفين والمراكب الفرنسية الحربية والتجارية تترد باستمرار على موانئ طرابلس الغرب[1]

كما تميزت العلاقات السياسية بين طرابلس الغرب وفرنسا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بالاستقرار، حيث ساعد هذا الاستقرار لم يكن مقتصرا على طرابلس الغرب فحسب بل حتى علاقة فرنسا بتونس وكذلك بالجزائر[2]فكانت تشهد الهدوء والاستقرار.

1 -شارل فيرو ، المصدر السابق ، ص 423-461 .

2- جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500-1830) ،المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ،1987 ، ص 145-173 .

الفصل الأول

I- العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية مع انجلترا خلال عهد يوسف باشا القرمانلي

المبحث الأول: تعريف الدبلوماسية

المبحث الثاني: القنصلية الأولى الانجليزية بطرابلس الغرب

المبحث الثالث: عهد القنصل وارنجتون ونشاطاته في طرابلس

II- العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية مع انجلترا خلال عهد يوسف باشا القرمانلي:

المبحث الأول: تعريف الدبلوماسية :

وقد شاع في العهد الروماني تداول مصطلح الدبلوماسية[1] وكان يعني حفظ المعلومات التي تتضمن الاتفاقيات الخارجية[2]، وكان يطلق عليها ومعروفة باسم دبلوما ،أما فيما يخص القائم عليها فكان يطلق عليه اسم الدبلوماسي[3]،ومن ثم استعمل مصطلح دبلوماتيك في اللغة الفرنسية في القرن الثامن عشر[4].

وفي سنة 1791 تطور المعنى حتى أصبح يتعلق بكل العلاقات بين الدول ، ويصبح المعنى يرادف السياسة الخارجية [5]، فكلا المصطلحين أو المعنيين يهتمان بدراسة العلاقات والمصالح بين الدول والشعوب ، وترجع مسؤولية النجاح هذه إلى كفاءة السفراء الدبلوماسيين الذين يوصفون بتوخي الحيطة والحذر واللباقة والقدرة على التخلص من المزالق والبراعة في الوصول إلى أهدافهم المسطرة وكل هاته الصفات تشيد بمهمة الدبلوماسي الناجح الذي يستطيع بواسطة المفاوضة والحوار وتطبيق السياسة التي ترسمها البلاد[6] ، ولكي تحقق الأهداف المستهدفة من السفارة عملت الدول على اختيار الشخصيات المناسبة للقيام بهاته المهمة فالدول الغرب متوسطية ختار قناصلها من التجار والعسكريين ، وبذلك استطاعوا تكوين فكرة واضحة عن لغة وعادات هذه المناطق حتى يستطيعوا تحقيق اكبر قدر من النجاح لمهمتهم .

1- عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، المركز الثقافي العربي ، الرباط(عشرة أجزاء)، 1986 ، ج1 ،ص 370 .

2- احمد عطية الله ، القاموس السياسي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،ط3 ، 1968 ، ص 518 .

3-نفسه ، ص 519 .

4- عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص 38 .

5-فاضل زكي محمد ، السياسة الخارجية وأبعادها في سياسة الدولة ، مطبعة شفيق ، بغداد ، 1976 ، ص 15-40 .

6-احمد عطية الله ، المرجع السابق ، ص 519 .

المبحث الثاني: القنصلية الأولى الانجليزية بطرابلس الغرب:

استطاعت الحكومة الانجليزية أن تصل إلى ولاية طرابلس الغرب وتوطد علاقاتها معها محافظة على سلامة مرور سفنها أمام سواحل هذه الولاية دون التعرض لها من قبل الأسطول الطرابلسي، والذي يعد من الأساطيل القوية التي يعمل لها حسابها في البحر الأبيض المتوسط في ذلك الوقت.

كانت التجارة عاملا هاما في تنمية العلاقات بين البلدين، وكان من أهم السلع التي يقوم التجار الانجليز بتصديرها إلى ولاية طرابلس الغرب : الحبال والقطران والرصاص والمنسوجات القطنية ومقايضة هذه السلع بالحناء والصوف والشمع والجلد والشعير والتمر والملح، وكذلك ببعض السلع التي يمكن للتجار الطرابلسيين استجلابها والحصول عليها عن طريق تجارة القوافل عبر الصحراء مع أواسط إفريقيا والسودان، واغلب هذه السلع هي ريش النعام[1]، وناب الفيل والجلود السودانية المدبوغة والتبر، وتطورت هذه التجارة مع مرور الوقت وخاصة في النصف الأول من القرن التاسع عشر، حتى أصبحت تدر مبالغ طائلة على الطرفين وخاصة الحلفاء الذي أصبحت انجلترا من أوليات الدول التي تستوردها من ولاية طرابلس الغرب ، ويجني التجار الانجليز الذين يعملون في شرائها وبيعها ربحا صافيا مقداره فرنك واحد أو اثنان في البالة الواحدة[2].

بالإضافة إلى ذلك التبادل التجاري بين الدولتين فقد استفاد الطرابلسيون من الأسرى الانجليز الذين تمكن البحارة الطرابلسيون من أسرهم أثناء جهادهم ضد السفن الأجنبية، وتشغيلهم في صناعة السفن وتكوين الأساطيل البحرية للإيالة ، وكثيرا ما كان هؤلاء الأسرى يعتنقون الدين الإسلامي بعد مكوثهم فترة بالسجون الطرابلسية فيتم عتقهم والسماح لهم بالمشاركة في جميع الأعمال المدنية حيث يوكل إليهم أحيانا قيادة السفن والاشتراك مع الطرابلسيين في الجهاد ضد السفن الأجنبية الغازية في البحر الأبيض المتوسط ، والتي تحاول فرض سيطرتها على الشعوب الواقعة على هذا البحر .

1- مايون جونسون، تجارة ريش النعام في النصف الأول من القرن التاسع عشر، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول سنة 1981 ، نشر مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي ، ص 133 .

2- محمود ناجي ، تاريخ طرابلس الغرب ، تر: عبد السلام ادهم ومحمد الأسطى ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، 1970 ، ص 36 .

المبحث الثالث: وارنجتون قنصلا انجليزيا في طرابلس:

لقد تم اختيار وارنجتون*لما يتمتع به من الصفات المطلوبة ويدعى((ألفريد هانمر وارنجتون hanmer Warrington))كان يعمل أثناء ذلك ضابطا في القوات الانجليزية المحاربة للقوات الاسبانية بجبل طارق

ولما تم تعيينه قنصلا بإيالة طرابلس فرح كثيرا وشكر وزير الخارجية الانجليزي السيد " باتروستbatrurst" شكرا جزيلا، حيث قال : انه لا ينسى له هذا الجميل ويتضح ذلك في نص الرسالة التي وجهها وارنجتون إلى وزير الخارجية الانجليزي في 04 يوليو 1814 .

اتجه وارنجتون على ظهر السفينة فرانسيس دربك إلى مدينة طرابلس، والتي توقفت في مدينة الجزائر قادمة من مضيق جبل طارق ، ونزل منها وارنجتون متنقلا إلى سفينة أخرى تاركا مدينة الجزائر يوم 3 نوفمبر متجها إلى ميناء طرابلس البحري الذي وصل إليه يوم 28 نوفمبر 1814[1].

وعندما سمع الباشا الطرابلسي بوصول السفينة الانجليزية التي تحمل على متنها القنصل الجديد وارنجتون وعائلته أمر بتحية العلم الانجليزي ، وبقي القنصل الجديد بها مدة يومين لأنه لم يستطع النزول منها بسبب الرياح القوية.

وفي اليوم الأول من ديسمبر 1814 قدم وارنجتون إلى القلعة برفقة السكرتير الأول بالقنصلية الانجليزية السيد سومر قبل استقبال يوسف باشا وتقديم نفسه له لقنصل الحكومة الانجليزية حاملا معه لهدايا المخصصة للباشا الطرابلسي من قبل حكومته الانجليزية بلندن[2].

اندهش القنصل الانجليزي الجديد من الاستقبال الذي وجده من قبل يوسف باشا الذي أحاطه بكل حفاوة وتكريم ، فقد أمر بإقامة حفل خاص له بعد تقديم أوراق اعتماده قنصل لبلاده.

وبعد مقابلة وارنجتون ليوسف باشا باشر عمله في اليوم التالي بالقنصلية الانجليزية ، وتسلم جميع الأختام والأوراق من السكرتير الأول بالقنصلية الذي قال عنه وارنجتون انه مخلص وحريص جدا على مصلحة بلاده

*وارنجتون – ولد سنة 1778 من أب يشتغل موظف في كنيسة بشمال ويلز ، دخل الميدان العسكري وهو في سن السادسة عشر برتبة ملازم وتقلد عدة رتب آخرها عند تعيينه كقنصل عقيد في سنة 1814 وبقي بها حتى توفي يوم 12 ديسمبر 1843 ودفن بالمقبرة المسيحية البروتستانتية بمدينة طرابلس.

1-بازاما ، محمد مصطفى ،الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر ، مكتبة قورينيا ، بنغازي ،ليبيا ،ص..58..

2 – عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص92

في رسالة بتاريخ 10 ديسمبر 1814 إلى الحكومة البريطانية ، كما طلب في هذه الرسالة رسم خطة واضحة لكي يسير عليها للتباحث مع الباشا الطرابلسي بخصوص إطلاق سراح الأسرى، وإرسال طبيب يزيد عمره عن الأربعين سنة ليعمل طبيبا خاصا للباشا خالفا للطبيب الماهر توماس "thomas"، وأشار أن إرسال مثل هذا الطبيب سيزيد من تقوية العلاقات بين البلدين [1].

أ- عهد القنصل وارنجتون1826/1814م ونشاطاته :

كان اهتمام انجلترا بتعيين قنصل جديد بطرابلس الغرب كبير،خاصة بعد رجوع قنصلها ويليكي في أواخر سنة 1812 إلى لندن، على أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط أولها القدرة على خلق جو ودي مع حكومة يوسف باشا، وثانيها القدرة المالية التي تساعده في عمله .

لذلك حرصت انجلترا على تعيين قنصل جديد لها بمدينة طرابلس يضمن لها سلامة تجارتها وسفنها الراسية بموانئ البحر الأبيض المتوسط.

أ-1- نشاطات وارنجتون في إيالة طرابلس الغرب:

اشتد الصراع الانجليزي الفرنسي وانعكس على علاقات الدولتين بالإيالة، فأخذ وارنجتون هذا الوضع بعين الاعتبار حال استلامه منصب عمله لقنصل لبلاده في الإيالة[2].

وأول اصطدام له كان مع القنصل الفرنسي (ديلابورت Delaporte) الذي أمر برفع العلم على مبنى القنصلية الفرنسية، وما إن سمع وارنجتون هذا الخبر حتى أعلن انه سيسعى إلى منع رفعه، وأسرع إلى مقابلة الباشا وطلب منه عدم السماح للقنصل الفرنسي برفع علم دولته على القنصلية الخاصة به[3].

وقد استجاب يوسف باشا لطلب وارنجتون وأعطاه عهدا بأنه سيمنع القنصل الفرنسي من الاستمرار في رفع العلم الفرنسي على القنصلية الفرنسية، ووضع حراسة مشددة على مبنى القنصلية الانجليزية ورفع الحماية

1-عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق،ص96

2- عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق،ص97

3- نفسه ,ص98.

الدبلوماسية على الجنود الفرنسيين الذين اتهمهم بالفوضى وأمر بسجنهم إرضاء للقنصل الانجليزي الذي قد أعجب بهذا التصرف وقام بتحرير رسالة إلى حكومة بلده بلندن يعلمها بهذا الخصوص.

ازدادت مكانة وارنجتون في نظر أعيان الحكومة الطرابلسية، فأخذت العلاقة بين البلدين تسير في مجراها الطبيعي ، والتي يسودها بعض التوتر أحيانا ، وخاصة أثناء قيام القوات البحرية الطرابلسية بدورياتها العادية في مياه البحر الأبيض المتوسط ومطاردتها لبعض السفن الأوربية [1].

وهكذا سادت علاقات طيبة ومحترمة بين القنصلية الانجليزية وحكومة الإيالة الطرابلسية، وعادت إلى طبيعتها التي كانت عليها في عهد الآباء و الأجداد للأسرة القرمانلية.

ومراكز لتسويق منتجاتها وقد كانت إفريقيا مصدرا لهذه المواد، فبذلت الدول الأوربية مجهودات ضخمة من أجل ضمان وصول هذه المواد،وأخذت تعمل على تحسين علاقاتها مع دول شمال إفريقيا، ومن بينها ولاية طرابلس الغرب حتى تكون في المستقبل قاعدة ينطلقون منها إلى أواسط القارة بحثا عن مناجم المعادن التي تحتاج إليها صناعاتهم.

ب- تدهور العلاقات الأمريكية الطرابلسية وموقف القنصل الانجليزي من هذا النزاع:

وقامت الحكومة الأمريكية بالمماطلة في تسديد المبلغ الذي تم الاتفاق عليه، بل أنها أرسلت أسطولا قويا لتهديد يوسف ولم يلبث حتى نشبت الحرب بين البلدين تمكنت من خلالها إيالة طرابلس من حجز السفينة الأمريكية وأسر عدد من البحارة الأمريكيين الذين كانوا على ظهر السفينة فيلادلفيا.

وقد اتجهت الحكومة الأمريكية إلى القنصل المكلف بإدارة شؤون القنصلية الانجليزية السيد " ماك دونوج mac donough" لتغيب القنصل الانجليز يلوكاس لقضاء بعض الوقت في بلاده فتقدمت بطلب لتقديم المساعدة من " ماك دونوج "، ولكنه رفض المساعدة بحجة ان الحكومة الانجليزية حريصة على استمرار العلاقة الطيبة بينها وبين ايالة طرابلس الغرب.

1-بزاما محمد مصطفى , المرجع السابق،ص88

وأثار موقف " ماك دونوج " الشك والريبة لدى القنصل الدنمركي " بيسن " المكلف بإدارة شؤون القنصلية الأمريكية بالإيالة الطرابلسية، واعتبره منحازا إلى جانب الباشا الطرابلسي[1].((وبعد وقت قصير من الاعتراض الذي واجهته السفينة المالطية التي تقل ممتلكات للباشا من قبل الأسطول الأمريكي والذين استولوا على الشحنة التي على متنها مما جعل الباشا الطرابلسي يشعر أنه قد أهين كثيرا حتى الانجليز قد عانوا من الاستيلاء على هذه الممتلكات ذلك لأنها تحت حماية العلم الانجليزي، وان القنصل الانجليزي السابق قد أعطى عهدا مع بقية قناصل الدول الأوربية بحماية نقل ممتلكاته وتأمينها))[2].

ولكن الباشا الطرابلسي لم يهتم بهذا التصرف الذي سعت الحكومة الأمريكية منه زرع الفتنة بين الحكومة الانجليزية ايالة طرابلس، واكتفى الباشا الطرابلسي باستدعاء القنصل الانجليزي الجديد " لانجفرود " للاستفسار منه، فأبلغه بأن قد أوفد السيد ماك دونج إلى جزيرة مالطا للتحقيق في الأمر مع الحاكم العسكري الانجليزي للجزيرة ومحاولة إيقاف مثل هاته الأعمال في البحر الأبيض المتوسط لأنها تسيء إلى العلاقات الانجليزية الطرابلسية.

وقد حرصت الحكومة الانجليزية على استمرار العلاقات الطيبة بينها وبين الإيالة الطرابلسية فلم تتأثر العلاقات عقب تمكن الأسطول الطرابلسي من أسر البحارة الأمريكان من على ظهر السفينة فيلادلفيا والذين اغلبهم من أصل انجليزي يعملون على متن سفينة أمريكية حتى قبل حصول الولايات المتحدة الأمريكية على استقلالها، وكان الأسطول الجديد في حاجة إلى مثل هذه الخبرات وقد تخلت الحكومة الانجليزية عن مسؤوليتها تجاه هؤلاء البحارة[3].

1- عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق، ص100 .

2- نفسه، ص101. .

3- العلاقات السياسية المرجع السابق...ص182

ج – تمرد عبد الجليل بن سيف النصر على يوسف باشا وتقربه من القنصل الانجليزي:

وعندما حقق عبد الجليل مبتغاه في حملته التي قام بها وعند عودته بدت عليه مظاهر العزة والافتخار حتى أيقن انه حان وقت الانتقام لموت والده، وبدأ يعمل على كسب حب القبائل المجاورة حتى كسب ثقة منطقة سرت والشاطئ، ويتحين الفرصة المناسبة ليعلن تمرده ضد يوسف باشا.

وبعد قدوم الأسطول الفرنسي الذي كان يقوده روزاميل سنة 1830، كانت الفرصة المواتية له وفرضه على الحكومة الطرابلسية شروطا قاسية بخصوص ديون التجار الفرنسيين، مما اضطر يوسف باشا لفرض المزيد من الضرائب على الأهالي طوعا أو غصبا وكان يستعمل القوة في تحصيلها إذا اقتضى الأمر ذلك وهذا ما دفع الأهالي إلى الحقد عليه والتسبب في مقتهم الشديد ضده هو وحكومته.[1]

واستغل عبد الجليل هذا الأمر لصالحه وأعلن تمرده على يوسف باشا وسلطته بضواحي ورفلة في البداية، ثم امتد تمرده إلى معظم المناطق الجنوبية حسب الرسالة التي بعثها عبد الجليل إلى القنصل الانجليزي وارنجتون بتاريخ 19 صفر 1247 هـ والتي قال فيها: ((... وجميع ما تبغونها من بر القبلة جودوها حاضرة، ولا تبين وإلا ما تبين للذي من طرفكم غير لوموا علينا به تحضر لكم في اقرب وقت مدة من هاهنا إلى بر بعيد)).

ونص هاته الرسالة التي أشرنا لها فمحتواها ان عبد الجليل قد عرض على وارنجتون التعاون معه وإقامة علاقة متينة بين الطرفين، وعلان عبد الجليل استعداده لتقديم كل ما يحتاجه الانجليز من الأنعام ووسائل النقل من البلاد التي قام بالسيطرة عليها، بدلا من يوسف باشا.

وقد أبدى رغبته القوية في إنشاء صداقة بينه وبين الانجليز والتعهد بالوفاء بوعوده لها بما وراءه من قوة وعشيرة.

وقد أسرع وارنجتون بقبول هذا العرض المقدم إليه للاستفادة من نتائجه المنتظرة بالإضافة إلى المنافع الأخرى التي سوف يتحصل عليها جراء إبرام هذه الصداقة بينه وبين عبد الجليل.

1- المرجع السابق ، ص 183.

وفي هاته الأثناء قام عبد الجليل وبمساعدة أخيه عمر قوة عسكرية مكونة من ثمانمائة مقاتل لاحتلال منطقتي سوكنة وفزان بتاريخ 13 سبتمبر 1831 م [1].

وفي ذلك الوقت قام يوسف باشا باستدعاء الشيخ المكني حاكم فزان إلى مدينة طرابلس وقام بإرساله إلى مدينة مصراتة للعمل على استتباب الأمن والطمأنينة بهاته المنطقة، وخلفه في فزان محمد بن عبد الله الجركسي الذي فشل في التصدي للحملة التي قام بها عبد الجليل للسيطرة على هاته المنطقة.

وفي خضم هاته الحملات وجه يوسف باشا فرقتين عسكريتين إحداهما بقيادة ابنه علي بك وتضم العديد من قول أغلية * الساحل والمنشية والزاوية أما الفرقة الثانية فكانت بقيادة ابنه الثاني إبراهيم وضمت العديد من قول أغلية مصراته والخمس وزلطين، وقد وصل عدد القوتين حوالي 20 ألف جندي، وقام يوسف باشا بإصدار أمر لهما بالاتجاه لمنطقة بني وليد والقضاء على عبد الجليل فورا[2].

د- محاولة وارنجتون الوساطة بين يوسف باشا وعبد الجليل:

وقبل مغادرة القوة العسكرية مدينة طرابلس عرض وارنجتون على يوسف باشا الوساطة بين يوسف باشا وعبد الجليل قبل الدخول في معارك دامية تزهق فيها العديد من الأرواح والأموال، وقد تفوق خسائرها الفوائد المنتظرة منها، وقد قام وارنجتون بإبلاغ يوسف باشا بأن عبد الجليل يريد إبرام صلح معه وإنهاء المشاكل العالقة بينهما.

1- إسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 47 .

* - قول أغلية : فأطلق اسم قول اغلي على الأبناء الذين كانوا نتاج زواج الانكشارية من النساء المحليات ولقد تكونت جماعات كبيرة من القول أغلية في المنشية والساحل في طرابلس وفي مصراته والزاوية واجبروا على الخدمة العسكرية وكانوا يتمتعون بامتيازات كبيرة وببعض الإعفاءات ، وفي عهد الأسرة القرمانلية أطلق الاسم للدلالة على كل أولئك الذين كانوا يؤدون الخدمة العسكرية ، انظر ميكاكي ، طرابلس تحت أسرة القرمانلي ، ص7 .

2- ميكاكي ، طرابلس الغرب ، تحت حكم أسرة القرمانلي ، ص 231 .

رغم محاولات وارنجتون بالإصلاح بينهما إلا ان يوسف باشا لم يوافق على الصلح واعتبر ذلك مراوغة وضياعا للوقت لصالح عبد الجليل، مما أثار غضب وارنجتون مما اضطره إلى تحرير رسالة بهذا المعنى إلى عبد الجليل بتاريخ صفر 1247 هـ /يوليو 1831 م.[1]

وقام وارنجتون في هاته الرسالة بإبلاغ عبد الجليل ان الباشا لم يحبذ فكرة الصلح وبدا عليه الغضب الشديد أثناء قراءتها:

((... لما الباشا قرأ جوابك، ولما قرأه كيف ما انخرص فيه ما جاش على القوزت)).

كما قام وارنجتون بشكر عبد الجليل على المساعدات القيمة التي عرضها عليه في رسالته السابقة بتاريخ شهر يوليو 1831 م، ووعده بإبلاغ هذا الأمر إلى حكومته بلندن.[2]

وقد انتهز عبد الجليل الفرصة وقام بالرد على رسالة وارنجتون، وقام بالتأكيد لوارنجتون بأنه متمسك بوساطته في النزاع القائم بينه وبين الباشا يوسف، وقام عبد الجليل بتحذير القنصل الانجليزي وارنجتون من الألاعيب التي عرفت عن يوسف باشا، والتي يقوم بها أحيانا قصد اكتساب مزيد من الوقت لصالحه، وهذا ما ورد في رسالته لوارنجتون بهذا الشأن بتاريخ شهر ربيع الأول سنة 1247 هـ الموافق لشهر أغسطس 1831 م:

وقام عبد الجليل بالإعلان في رسالته انه لن يتخلى عن ارض أجداده مهما كانت النتيجة، وانه مستعد لمجابهة أي قوة يقوم بإرسالها يوسف باشا إلى المنطقة، وفي ختام كلامه المكتوب في الرسالة فقد أوصى عبد الجليل القنصل وارنجتون بالإشراف على جميع ممتلكاته وممتلكات أسرته من منازل وعقارات وغيرها من الممتلكات في طرابلس وضواحيها وقام بتفويضه في التصرف بحرية تامة وفق ما يراه مناسب لذلك، كما طلب منه ان على اتصال دائم به والقيام بتبليغه بكل تحركات يوسف باشا وخاصة التحركات العسكرية.

1- ميكاكي رودولفو ، المصدر السابق ، ص 232.

2-اسماعيل كمالي، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي، رسالة يوسف باشا إلى محمد الشلبي بتاريخ 6 رجب 1247 هـ الموافق 12 ديسمبر 1831م ، ص 53 .

وفي أواخر أكتوبر 1831 م قامت القوات العسكرية التي قام يوسف باشا بإعدادها بالتحرك صوب منطقة بني وليد وهناك حدث أول تشابك بين القوتين على بعد ميلين من بلدة بني وليد في المنطقة المعروفة بقليعات الحطابة بأسفل الوادي حيث حطت قوات يوس باشا رحالها للاستراحة وعلى حين غفلة فاجأهم

عبد الجليل بقواته ليلا، واشتبكا معا في حامية انتهت بارتداد قوة عبد الجليل بعد صراع دام ثلاث ساعات من بداية القتال وخلف هذا الصدام الكثير من القتلى في ساحة المعركة [1].

ونتيجة لتدخل أولاد بوسيف* وتوسطهم بين الطرفين في الصراع الذي استؤنف في منتصف نهار اليوم التالي ثم توقفه في نفس اليوم بسبب تدخل أولاد بوسيف ، ولكن بعد الاتصال الذي حدث بينهم وبين أبيهم يوسف باشا أمرهم بالاستمرار في القتال ، وقام بإرسال تدعيمات إضافية لكن التدعيمات التي أرسلها الباشا لم تفلح في فرض السيطرة لأن قوات الباشا يوسف تكبدت خسائر فادحة مما جعل الباشا يقوم بالقبول بالصلح وقبول وساطة القنصل وارنجتون ، وبادر الباشا بإرسال رسالة بهذا المعنى إلى وارنجتون بتاريخ 13 رجب1247 هـ/19 ديسمبر 1831م قام بإبلاغه فيها بقبوله بالعرض الذي قدمه له المرة السابقة في شأن الوساطة، كما طالبه بحضور عبد الجليل ، إلى مدينة طرابلس وان يكون تحت حماية العلم الانجليزي وبضمان الحكومة الانجليزية.

وأبلغ يوسف باشا القنصل الانجليزي وارنجتون في هذه الرسالة بأنه سوف يحافظ على أسرة عبد الجليل وممتلكاته في حال موافقته على القدوم إلى طرابلس للتباحث معه بشأن الصلح، أما في حال عدم حضور عبد الجليل فإن الباشا سيتخذ إجراءات مناسبة ضده، وقد قام الباشا بترجي القنصل وارنجتون بعدم الغضب من الإجراءات وبلغه بأن تنازله جاء تقديرا واحتراما له شخصيا أي للقنصل الانجليزي وارنجتون.

1- اسماعيل كمالي، المصدر السابق، ص 54 .

* أولاد أبو سيف: هم قبائل رجل يعرفون بالمرابطين، وانتجاعهم بمزدة، ومنهم شعبا بوادي الشاطئ وغيره، وينتمون إلى جد وافد من المغرب، وقد قام فريق منهم بالوساطة ورفع رايات الصلح بين الفريقين المحاربين ، انظر دي أوغسطين ، سكان ليبيا ، ج1 ، ص 382-384 ، وإسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 56-57 .

وقابل القنصل الانجليزي موافقة يوسف باشا على وساطته بالرضا والاطمئنان، وقام بإرسال خطاب إلى عبد الجليل بتاريخ 14 رجب 20/1247 ديسمبر1831 وابلغه فيها انه على أتم الاستعداد للمرة الثانية للقيام بمحاولة إصلاح ذات البين بينه وبين يوسف باشا وقام بدعوته للقدوم إلى طرابلس للتباحث في الأمر وإتمام الصلح مع يوسف باشا[1].

وفي هذه الرسالة ابلغ القنصل الانجليزي وارنجتون عبد الجليل بأنه إذا تعذر عليه الحضور لأي أسباب كانت، فإنه على استعداد للقدوم إليه في منطقة بني وليد للتشاور معه في خصوص سلامته ومصالحه، وفي ختام الرسالة أعرب القنصل عن ارتياحه لتوقف المعارك الدامية بينهما وقام بتهنئته بسلامته شخصيا وانه سوف يأخذ موقف حيادي في وساطته بينه وبين يوسف باشا، وقد جدد نصحه لعبد الجليل مبينا ان له في هذا الصلح مصلحة له ولأهل منطقته.

ومن ناحية أبنائه المقيمين بطرابلس فقد طمأنه بأنهم في أحسن أحوالهم ولن يمسهم سوء تحت العلم الانجليزي.[2]

وقد رفعت الرسالة التي بعث بها وارنجتون من معنويات عبد الجليل،وأدرك من خلالها ان يوسف باشا قد فشل في بعث إمدادات عسكرية إلى أبنائه الذين نزلوا في ترهونة بقواتهم،وأصبحوا لا يستطيعون البقاء هناك لفترة أطول بسبب نقص الذخيرة والمؤونة التي لديهم، مما دفع يوسف باشا للموافقة على إجراء الصلح وقبول الوساطة الانجليزية.

1.-اسماعيل كمالي .المرجع السابق ,ص.55

2- نفسه ، ص 56.

وهذا التفكير جعل عبد الجليل يقبل الشروط المعروضة عليه من طرف يوسف باشا، للمراوغة وكسب المزيد من الوقت لفائدته، كما رفض الشرط المتفق عليه في السابق بتسليم أخيه وعشرين رجلا من أقاربه إلى يوسف باشا كرهينة لحين إتمام الصلح بين الطرفين[1].

وبعد أن تعرفنا إلى مستوى العلاقات الطرابلسية الانجليزية في عهد يوسف باشا القرمانلي، ومدى تأثير القنصل وارنجتون على ربط هذه العلاقات والتأثير فيها، سنتعرض إلى العلاقات الطرابلسية الفرنسية في عهد يوسف باشا القرمانلي وتأثيرات القنصل روسو في هذه العلاقات في الفصل الموالي.

1- اسماعيل كمالي، المرجع السابق ص58.

الفصل الثاني

III- العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية مع فرنسا خلال عهد يوسف باشا القرمانلي

المبحث الأول: عوامل التقارب الطرابلسي الفرنسي

المبحث الثاني: معاهدة 1801م و عودة العلاقات الطرابلسية الفرنسية

المبحث الثالث: موقف طرابلس الغرب من احتلال فرنسا للجزائر 1830م

III- العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية مع فرنسا خلال عهد يوسف باشا القرمانلي:

المبحث الأول: عوامل التقارب الطرابلسي الفرنسي:

هناك عدة عوامل أسهمت مع بعضها البعض في ازدهار العلاقات الليبية الفرنسية خلال هذه الفترة منها حاجة كل من طرابلس وباريس إلى بناء علاقات ودية، ومخاوف يوسف باشا من الاحتلال الفرنسي لمصر، واختيار يوسف القرمانلي لمبدأ التعاون مع فرنسا، وتدخل انجلترا لإرغام طرابلس على قطع علاقاته بفرنسا، وأخيرا عودة العلاقات من جديد وعقد معاهدة 1801م.

أ- الحاجة لبناء علاقات ودية بينهما:

إن الأوضاع السياسية التي كانت تمر بها كل من ليبيا وفرنسا خلال هذه المرحلة، قد أسهمت في زيادة التقارب بينها إلى أقصى ما يكون بالنسبة لبقية الدول الأوربية الأخرى نظرا لحاجة كل منهما لدعم ومساندة الأخرى، حتى تستطيع تجاوز الظروف الصعبة التي تحيط بها، فيوسف باشا حديث العهد بالحكم كان أحوج ما يكون إلى الأمن والسلام الخارجي، ومهادنة دولة بحرية كبرى مثل فرنسا، هذا ما يجسده حرصه وحرص أسلافه على إقامة علاقات ودية معها حتى وهم مكرهين أحيانا تحت وطأة التهديد بالقوة، من أجل عدم الدخول معها في مواجهات غير مضمونة العواقب، فالبلاد قد خرجت لتوها من حروب أهلية ضعضعت كيانها العسكري والسياسي والاقتصادي، وكذلك من أجل إصلاح الدمار والخراب الذي لحق بالقلعة بعد إرغام علي الجزائري على الخروج منها[1]، والأهم من ذلك كله إعادة إحكام السيطرة على البلاد من أجل بناء قاعدة داخلية صلبة ومتماسكة[2]، يمكن من خلالها بناء علاقات خارجية متوازنة، أو علاقات توفر على الأقل الحد الأدنى من المكاسب للبلاد، وتجنيبها أقل الخسائر في أسوء الاحتمالات.

1- شارل فيرو، المصدر السابق، ص 514.

2- حول حملات يوسف باشا على الدواخل، أنظر : أحمد بك النائب، المصدر السابق ، ج1، ص 330-331.

هذه هي الدبلوماسية التي اتبعها يوسف باشا نحو فرنسا في بداية حكمه، محاولا الاستفادة قدر الإمكان من دعمها السياسي والاقتصادي والعسكري له في تحقيق أهدافه المذكورة أعلاه، وعليه سارع إلى إرضاء القنصل الفرنسي ألفونسو جيس، الغاضب من انتهاك جنود الباشا لحرمة مبنى القنصلية وإطلاقهم سراح أحد زملائهم الذي سجنه القنصل بسبب اعتدائه على يهودي بالضرب[1]،واستغل الباشا هذا الحادث للقيام بزيارة مبنى القنصلية والتعبير عن شكره من الموقف الذي اتخذته الحكومة الفرنسية ممثلة في سفيرها بالأستانة الذي طلب من السلطان ترك القرمانليين وشأنهم، كما استقبل الباشا المبعوث الفرنسي الأميرال البحري الواسهيركوليه(A.D.herculais) الذي أرسل من قبل الحكومة الفرنسية للتفتيش عن القنصليات الفرنسية المعتمدة لدى دول المغرب بالإضافة إلى إحاطة حكومات هذه الدول بالانتصارات التي احرزتها الجيوش الفرنسية في أوربا.

أرسل له الباشا جواده الخاص عند نزوله إلى البر، كما قام الباشا بتاريخ الرابع من يونيو 1796م بإطلاق سراح مركب برتغالي موسوق قطن وتبغ أسره الرايس شعبان أفندي، وعند دخول هذا المركب إلى الميناء أطلق سراحه لوجود تاجر فرنسي على ظهره ، ثم تدخل القنصل الفرنسي لإطلاق سراح مركب سويدي موسوق خشب بتاريخ 17 يونيو 1796م ، وفي 23 -04-1798م استجاب الباشا لاحتجاج القنصل الفرنسي على أسر مركب موسوق شمع لجواز سفره الفرنسي[2].

لقد أراد الباشا من خلال هذه الأعمال أن يبرهن على حسن نواياه وحرصه على بناء علاقات ودية مع فرنسا، التي هي أيضا كانت بحاجة إلى مثل هذه العلاقات الودية، وخاصة بعد تزايد اهتمامها بالبحر المتوسط، وتحقيق أطماعها في مصر محط أنظار الاستراتيجية الفرنسية الجديدة، وأملها في تكوين إمبراطورية لها في الشرق تعوض ما فقدته في العالم الجديد[3]، وحتى يتحقق لها ذلك عملت

1-شارل فيرو، المصدر السابق ، ص516.

2- نفسه ، ص516.

3- حول المستعمرات الفرنسية في العالم الجديد، أنظر عبد المجيد البطريق،التيارات السياسية المعاصرة 1815-1920،دار النهضة العربية ، بيروت.1984، ص 291.

على زيادة التقارب مع ليبيا ذات الموقع الاستراتيجي المهم بالنسبة لأهدافها المستقبلية، والحصول على دعم يوسف القرمانلي، أو على الأقل وقوفه على الحياد الذي يعتبر في حد ذاته كسبا للدبلوماسية الفرنسية لإنجاح حملتها المرتقبة على أرض إسلامية تابعة لخليفة المسلمين (السلطان)، الذي من المؤكد أنه سيطلب من المسلمين الاستنفار لمحاربة الفرنسيين وإخراجهم من مصر، وبالتالي فإن تعرض العلاقات السياسية بين طرابلس وباريس للقطع تعد أمرا واردا.

وحتى تتجنب فرنسا حدوث مثل هذا الموقف من يوسف باشا نراها تلجأ منذ احتلالها لجزيرة مالطا إلى اتباع سياسة الترغيب والترهيب مع يوسف القرمانلي وتمثلت سياسة الترغيب في القضاء على منظمة الفرسان في مالطا ذلك العدو التقليدي للإسلام والمسلمين، وإطلاق سراح السجناء الطرابلسيين التسعة بالجزيرة، مؤكدة بذلك صداقتها القديمة بطرابلس أما سياسة الترهيب فهي التلويح باستخدام القوة إذا لزم الأمر[1]، ويبدو أن هذه الدبلوماسية المزدوجة لفرنسا اتجاه طرابلس قد أسهمت في زيادة إقناع يوسف باشا، واختياره لمبدأ التعاون مع فرنسا وتزويدها بما تحتاج إليه حاميتها في مالطا من طعام وسلع أخرى[2].

ب- التدخل الانجليزي لقطع العلاقات بينهما:

عندما أيقنت إنجلترا بعدم التزام يوسف باشا بوعوده التي قطعها على نفسه للسلطان العثماني، ولإنجلترا ذاتها بقطع علاقاته مع فرنسا أرسلت البحرية الانجليزية في البحر المتوسط السفينة البرتغالية الحربية ألفونسو (Alphonse) ذات الأربعة والسبعين مدفعا، التي كان يقودها العميد البحري كامبل (Campell)، صحبة القنصل الانجليزي بطرابلس لوكاس(Lucas) في 1799/05/13م، وقد توجه لوكاس بعد نزوله للبر مباشرة إلى الباشا، حاملا له رسالة من الأميرال نيلسون، يتهدد فيها بمعاقبته إذا لم يستجيب لمطالبه خلال ساعتين من علمه بتلك المطالب والتي تتضمن الأتي:

1- أنظر خطاب نابليون بونابرت إلى القنصل الفرنسي بطرابلس، نقلا عن شارل فيرو، المصدر السابق ذكره، ص 519.
2- نفسه، ص520.

- يجب ان يكون على متن السفينة الملكية ألفونسو القنصل الفرنسي بوسييه ونائبه، وكل الرعايا الفرنسيين في ظرف ساعتين من وصول القنصل لوكاس إليكم.

- أن يتم توطين الرهائن[1] المحمولين على متن السفينة مكان المغادرين، على ان يتم ذلك خلال أربعة أيام.

- لن يكون هناك مهلة أو تسوية فيما يخص القنصل الفرنسي، والذي من المفروض أن يكون على ظهر السفينة بعد ساعتين من العلم.

- تحطيم كل السفن الفرنسية الراسية في الميناء بعد ساعتين من العلم أيضا.

- يمنع مناقشة هذه الأمور مع العميد كامبل، وفي حالة عدم امتثال معاليكم لهذه الشروط فإننا لا نستطيع منع السفن الملكية من استعمال القوة.

وأما هذه الضغوط الخارجية والداخلية استجاب الباشا لهذه المطالب وهو الأمر الذي حققه بوسييه في خطابه إلى وزير الخارجية تاليران بتاريخ 24-12-1799م الذي جاء فيه ".... لقد أطلعتكم في رسالتي الأخيرة التي وصلت إليكم من طرابلس البربرية ... بأن جميع الرعايا الفرنسيين المقيمين بالمدينة المذكورة أو المارين بها لن يلبث الباشا أن يطردهم منها لاضطراره للاستسلام للضغوط التي بوشرت عليه، إذ أنه في أعقاب رفضه المستمر لتسليمنا للإنجليز، بدأ العميد البحري كامبل في تنفيذ ما هدد به فأحرق عند السواحل سفينة القرصنة التابعة لنائب أميرال الإيالة، وألقى القبض على الأميرال (القرصاني) زيادة عن استيلائه على سفينتين طرابلسيتين ، وتأهب لقصف القلعة.[2]

1- خطاب بوسييه إلى تاليران بتاريخ 24-12-1799م نقلا عن شارل فيرو: المصدر السابق ذكره، ص 536.
2- نفسه ، ص 537.

وبالرغم من كل ذلك فإن يوسف باشا مازال مترددا، حتى طوقته صيحات أقارب وأصدقاء طواقم السفينتين الليبيتين اللتين استولى عليهما الانجليز، بالإضافة إلى تزايد الشعور بالاستياء لدى الأهالي بسبب سياسة الباشا المتواطئة مع الفرنسيين.

وأمام هذه الظروف أرسل يوسف باشا قائد بحريته ليأمر القنصل الفرنسي بمغادرة البلاد فورا، ولم تجد محاولات القنصل الفرنسي تأجيل هذا الرحيل ولو ليوم واحد، ويقول بوسييه في هذا الشأن: " هكذا فقد اضطررنا إلى الخروج تاركين وراءنا كل أثاثنا وحاجياتنا تحت تصرف المغاربة، وكان يصحبني المواطنون التالية أسماؤهم: أكزيفييه نودي الذي ظل يشغل نائب القنصل وترجمان مؤقت لمدة خمس سنوات، والتاجر أنطوان كوسي، وبيير فرانسوا فابر وهو قبطان سفينة من مرسيليا، وأخذنا تحت الحراسة إلى القلعة التي لم يسمح لي الدخول إليها، ثم أرغمنا على الصعود إلى مركب ينتظرنا حيث حملنا إلى السفينة البرتغالية[1]." كما يصف الطريقة التي تمت بها عملية ترحيل باقي الرعايا الفرنسيين بقوله: " أما باقي الفرنسيين وعددهم 38 فقد عوملوا معاملة أقل احتراما من معاملتنا نحن، واقتيدوا وسط جمهور من الغوغاء المتعصبين إلى رصيف باب البحر، حيث تم رميهم بدون أمتعة في مركب نقلهم بدوره إلى السفينة البرتغالية المذكورة.

لقد كان الفرنسيون مقتنعون تماما ان يوسف القرمانلي فعل ذلك مرغما، بدليل أنه لم يستجيب لكل النداءات السابقة والمتكررة من السلطان سليم الثالث بضرورة تسليم كل الرعايا الفرنسيين، وإعلان الحرب على فرنسا، كما أنه أصدر أوامره إلى قادة مراكبه باحترام العلم الفرنسي وعدم التعرض للسفن المبحرة تحته[2].

إن هذا الموقف المساند لفرنسا ضد الأخوة الإسلامية والتفريط في مبدأ السيادة الوطنية، باستخدام الفرنسيين للأراضي الليبية معبرا لنقل بريدهم من وإلى مصر، وزرع الجواسيس في الموانئ

1- تقرير بوسييه,شارل فيرو, المصدر السابق، ص538.

2-المصدر السابق.ص539

الليبية الهامة مثل درنة، وبنغازي، وطرابلس، للعمل على تسهيل نقل وجمع المعلومات على تطور الأحداث في أوربا.

وبالرغم من كل ذلك، أصدرت حكومة الإدارة [1] الفرنسية بتاريخ 15 رمضان 1217هـ الموافق 15 فبراير 1799م قرارا تجيز فيه الاستيلاء على السفن الليبية وكذلك التونسية والجزائرية، كما اعتبرت البضائع المحملة على هذه المراكب، والتابعة لهذه الدول غنائم حرب توزع على من استولوا عليها[2]، ويبدوا أن الهدف الفرنسي من إصدار هذا القرار هو زيادة الضغط على هذه الدول حتى لا تستجيب لمطالب السلطان العثماني، وانجلترا، بإعلان الحرب على فرنسا، وبالتأكيد إن هذا القرار الذي أصدرته حكومة الإدارة الفرنسية قد نال استحسان الباب العالي والحكومة الانجليزية.

ج- رغبة يوسف باشا في إعادة العلاقات:

لقد راهن يوسف القرمانلي على صداقته غير المشروطة مع فرنسا حيث نراه يقدم كل المساعدات للسفينة الفرنسية جان سفير (Jeensevere)، والسنبك جيريه (Geurrir) عندما كانا في طريقهما إلى مصر، وضلا طريقهما بسبب سوء الأحوال الجوية، فوجد قائد السفينة نفسه أمام سواحل طرابلس رغم كل الاحتياطات التي أتخذها فكتب ربانها فالا (valia) بتاريخ 26-11-1800م إلى حكومته يصف الظروف التي أدت إلى دخول ميناء طرابلس ومعاملة الباشا له قائلا: "...إذا بالريح تهب ناحية الجنوب وكان الأفق ينبي بأن الحل سيزداد سوءا، فأردت الوثوق من أن الميناء الذي سألجأ إليه غير معادي للجمهورية، فأطلقت قذيفة مدفعية، ورفعت علم وشعلة الجمهورية الفرنسية، فرفع الباشا في الحال راية السلام على القلعة، ورد بقذيفة مماثلة، وبعدها بلحظات ارتفع العلم الاسباني على مبنى القنصلية الاسبانية، وفي الرابعة مساءا وصلني زورقا مبعوثا من القنصل

1- حكومة الإدارة أو الديكتاتور : هي السلطة التي أقامتها الثورة الفرنسية في ديسمبر 1790 وحتى تولي نابليون الحكم في 10-11-1799م وإقامة للنظام القنصلي، الموسوعةالعربيةالميسرة،مجموعةمنالعلماءوالباحثين، المكتبةالعصرية، بيروت،2010 ، المرجع السابق ، ص730.

2-أحمد سعيد سالم الطويل, العلاقات السياسية و التجارية بين ليبيا و دول غرب أوربا المتوسطية 1795-1832 , أطروحة دكتورا , جامعة الجزائر , 2008,ص230

الاسباني معه رسالة تفيد بإمكانية دخولي للميناء بضمان القنصلية الإسبانية، ولم أتردد في استغلال الزورق للنزول إلى قلعة الباشا ووجدت القنصل الاسباني في استقبالي لتقديمي لسعادته، الذي حظيت بحسن استقباله وكرم ضيافته"[1]، ويضيف قائلا :".....وخاطبني عن طريق وزيره (يقصد محمد الدغيس) بأنهم قد علموا أن الجمهورية الفرنسية قد أبرمت هدنة مع تونس والجزائر وأنهم راغبون في معاملة فرنسا لهم بالمثل[2]، كما يتحدث هذا الضابط الفرنسي عن النوايا الطيبة التي يحملها الباشا اتجاه فرنسا ويثبت ذلك بقوله:" .... وقد أمدني الباشا بكل ما احتاج ولم أر فيه إلا الإخلاص والوفاء للفرنسيين، كما عمم أمرا لكل الموانئ التابعة لسيادته يوصيهم بحسن معاملتي، واحترام الراية الفرنسية

كان من نتائج هذه السياسة، بالإضافة إلى الزيارة الودية التي قام بها وزير خارجية الباشا محمد الدغيس إلى ديفواز قنصل فرنسا بتونس، في 1800/10/20م لاستئناف المفاوضات مع فرنسا والتي أدت إلى عودة العلاقات بين الطرفين.

والحقيقة أن فرنسا كانت أحرص من الباشا على إبرام هدنة مع طرابلس، واستئناف اتصالاتها بمصر عن طريق الأراضي الليبية الذي انقطع بعد رحيل القنصل الفرنسي بوسييه في مايو 1799م. ولو توفرت الرؤية السليمة ليوسف باشا وإدارته للأحداث في تلك الفترة لاما أخذ هو زمام المبادرة لإعادة العلاقات مع فرنسا بل لحدث العكس، وبالتالي يكون موقفه أكثر صلابة والحصول على تنازلات أكبر.

وعلى أية حال عندما وجد السيد محمد الدغيس الاستعدادات الكافية لإبرام هدنة مع ديفواز قام بها شخصيا تونس ومقابلة حمودة باي، والتنسيق معه في الكيفية التي تمت بموجبها الهدنة بين تونس وفرنسا في 1800/08/28م[3] وبعد عودة الوزير الليبي إلى طرابلس بحوالي الشهرين أرسل ديفواز

1-امحمد سعيد سالم الطويل, المرجع السابق ,ص231

2-نفسه ص232

3-أنظر ألفونسو روسو : المصدر السابق ذكره ، ص 268، كما أن الجزائر عقدة هدنة مع فرنسا بتاريخ 28 صفر 1215هـ/ يوليو 1800م، أنظر ، جمال قنان، المرجع السابق ذكره، ص 339.

رئيس وكالة الامتيازات الإفريقية بتونس السيد بيون (Bieon)، الذي وصل إلى طرابلس على متن بارجة سويدية في أواخر سبتمبر 1800م فوجد القنصل الهولندي واليهودي أبراهام السروزي إلى القلعة لمقابلة الباشا حيث كان الباشا القرمانلي في استقبالهم بكل حفاوة، وبعد مراسم الاستقبال التقليدية قام بيون بتسليم رسائل التوصية المزود بها من باي تونس حمودة الحسيني، والقنصل الفرنسي ديفواز، بالإضافة إلى النسخ الثلاث لمشروع الهدنة المزمع عقدها، والتي كانت جاهزة مسبقا حيث وقعها الباشا دون زيادة أو نقصان[1].

وقد علق أحد المؤرخين الليبيين المحدثين عن ذلك الموقف المتهاون ليوسف باشا بقوله : " ... إذا كيف يصح لمن في منصبه أن ينظر إلى مسائل التعاقد مع دولة أجنبية بمثل هذه النظرة التي تملى فيها الشروط من الطرف المتعاقد الآخر، وتقدم إليه جاهزة للتوقيع ، ولعمري إن هذا رمزية من وجهة النظر الدبلوماسية للتنازل الكامل عن مفهوم السيادة، ، ويبدو لي أن هذا التساهل من يوسف باشا في التوقيع على الهدنة راجع إلى:

- حرص يوسف باشا على عدم البقاء منفردا في وجه فرنسا بعد توقيع تونس والجزائر معاهدة للهدنة معها.

- تأكيدات وزير خارجيته محمد الدغيس الذي كانت علاقته بالفرنسيين جيدة حيث استقبل بكل بحفاوة أثناء زيارته لها قبل مدة على المزايا التي يمكن ان تعود على البلاد بعد توقيع هذه الهدنة .

- نجاح اليهود الطرابلسيين في إقناع يوسف باشا على توقيع الهدنة مع فرنسا لعودة تجارهم

مع مرسيليا وخاصة أن إبراهيم السروزي كان احد المكلفين من الحكومة الفرنسية برعاية المصالح الفرنسية في طرابلس بعد رحيل الفرنسيين منها.

1-نفسه، ص267.

- توصية حمودة باي وكذلك ديفواز وحرصهما على إنجاح مهمة إيبيون، قد ساعدت على سرعة إنجاز المهمة[1].

المبحث الثاني: معاهدة 1801م و عودة العلاقات الطرابلسية الفرنسية:

بعد نجاح نابليون في الوصول إلى السلطة بفضل ثورة 9-1899/11/10 م عمل على تطوير هذه الهدنة إلى معاهدة سلام وصداقة مع طرابلس رغم إلغاء الهدنة التونسية الفرنسية وكذلك الفرنسية الجزائرية[2].

فأرسل المترجم المالطي السابق بالقنصلية الفرنسية بطرابلس السيد اكزافييه نودي الذي وصل يوم 8 صفر 1216 هـ الموافق 18 يوليو 1801 ،حيث استقبل بكل حفاوة وتقدير من يوسف باشا.

ولقد استطاع نودي إبرام صلح مع طرابلس يوم 18 يونيو 1801 بنفس الشروط المتفق عليها في معاهدة 1729[3]، مع بعض الامتيازات السياسية والاقتصادية الجديد لفرنسا والتي منها :

1- وعد يوسف باشا بالتزامه الحياد التام تجاه فرنسا وعدم التدخل في الخلافات الناجمة بين فرنسا وأي دولة أخرى (المادة 51) .

2- الرعايا الفرنسيين لا يمكن في أي وقت ومهما كانت الحجج ان يتم إلقاء القبض عليهم ومعاملتهم كعبيد أوأسرى (المادة 43) .

3- حصول القنصل الفرنسي على أولوية المعاملة في المناسبات المختلفة دون غيره من القناصل (المادة 34) .

---

[1]- ألفونسو روسو ، المصدر السابق ، ص 269 .

[2]- زكية زهرة ،التنافس الفرنسي الانجليزي على الجزائر ,1792-1830,رسالة ماجستير, جامعة الجزائر , معهد التاريخ,الجزائر,1998 ، ص 52-55 .

[3]-النص الكامل لهذه المعاهدة لدى بول ماساي ، الوضع الدولي لطرابلس الغرب ،المعاهدات الليبية الفرنسية،1675-1830،تع,محمد مفتاح العلاجي،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس،1991، ص 113

4- لا تدفع الحكومة الفرنسية أية رسوم بعودة هذه العلاقات (المادة 22) .

5- إعفاء السفن الفرنسية التي ترسو في ميناء طرابلس من أي التزامات عمل أخرى(المادة 48).

6- إعفاء جندي الحراسة الطرابلسي المكلف بحراسة القنصل من أي التزامات عمل أخرى (المادة 49) . (أنظر الملحق رقم 04)

وبعد توقيعه على هذه المعاهدة أرسل نودي تقريرا مطولا إلى وزارة الخارجية الفرنسية يخبرها بتوقيع الصلح ، والمواد الإضافية الجديدة التي وقعها مع الباشا ومجلس ديوانه ، والى جانب الامتيازات السياسية التي حققتها فرنسا من وراء هذه المعاهدة تحصلت ، أيضا على عدة امتيازات اقتصادية [1].

وبعد التوقيع على المعاهدة حرر يوسف باشا خطابين ، الأول إلى نابليون بونابرت عبر له عن رضاه على بنود المعاهدة وانه يكن له الاحترام والتقدير[2] ، والثاني إلى وزير الخارجية تيلران عبر له فيه عن شكره وأثنى على مجهودات اكزافييه ودوره في إنجاح المفاوضات بين البلدين.

ولقد استغل نودي استعداد الباشا لتلبية مطالبه ، فقام بالتدخل لصالح الرعايا النابوليتانيون المأسورين في طرابلس، ووافق الباشا على ذلك وأكد احترامه لمطالب فرنسا[3].

وهكذا سار على هذا النهج ، وبعد توقيع المعاهدة بين فرنسا والدولة العثمانية زادت مخاوف يوسف باشا من مواصلة الدولة العثمانية زحفها إلى طرابلس عقابا له على موقفه السابق، وعليه رأى أن فرنسا الدولة التي تحميه .

وحتى لا يترك الباشا مجالا لتحقيق ذلك ، يبدو انه آثر السير في ذلك النهج الموالي لفرنسا ، حتى يتسنى له تصفية حساباته مع الدول الصغرى وتحقيق نتائج أفضل لبلاده ، ولعل هذا ما يفسر النهج

[1]- بول ماساي ، المصدر السابق ، 114.
[2]- نفسه،ص115
[3]- نفسه ،ص117 .

الاستسلامي للباشا اتجاه فرنسا وحرصه على تأكيد صداقتها محاولا استغلال حالة العداء بينها وبين انجلترا لتحقيق أهدافه فهل نجح في تحقيق ذلك؟ فعلى سبيل المثال : عندما أرغم على طرد الفرنسيين من طرابلس أراد أن يتخذ من هذا الموقف وسيلة لتحسين علاقاته بإنجلترا ، وقبول وساطتها بينه وبين حكومة نابولي ، ويلاحظ أنها المرة الأولى التي فيها مبعوثا فرنسيا عالي المستوى إلى طرابلس مباشرة دون المرور بالجزائر وتونس أولا وكما هي العادة في السابق ،ويبدو ان هذا راجع إلى أهمية الموقف الليبي السابق في نظر الدبلوماسية الفرنسية النابليونية الجديدة بعد حملتها على مصر وكذلك على مالطا وخروجها منهما ، وفقدان أملها في السيطرة على وسط وشرق المتوسط ، هذه المنطقة التي أصبحت المجال الحيوي لعدوها اللدود انجلترا التي دخلت معها في حرب ضروس على الساحة الأوربية ذاتها [1]الأمر الذي أدىإلى حدوث تغيير في الموقف السياسي للباشا نحو فرنسا نتيجة لهذه المتغيرات.

ان موقف يوسف القرمانلي المساند لفرنسا رغم احتلالها لأرض إسلامية ومقاومته لكل الضغوط الداخلية والخارجية بسبب هذا الموقف ، كان نابعا أساسا من مصلحته الشخصية كما أسلفنا القول ، وعندما أخذت انجلترا مكان فرنسا في مالطا ، وتزايد اهتمامها بالبحر المتوسط جعلها تضع ليبيا في دائرة اهتماماتها المستقبلية في المنطقة ، وفي الوقت نفسه بدأ يوسف باشا يراجع حساباته السابقة بناءا على تلك المستجدات ، ومحاولا إعادة رسم سياسته الخارجية وفقا لها ، مع تقييم سياسته السابقة اتجاه فرنسا وبقية دول غرب أوربا المتوسطية ، فما هي الأسس التي ستكون عليها علاقات طرابلس مع باريس خلال المرحلة القادمة ؟.

1- سعيدوني ناصر الدين،النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية1700-1830,الشركة الوطنية للنشر و التوزيع, الجزائر,دت، ص 301

المبحث الثالث: موقف طرابلس الغرب من احتلال فرنسا للجزائر 1830م:

كانت طرابلس الغرب من أهم الدول وأكثرها رفضا لاحتلال فرنسا للجزائر ، فلم تقدم أبداأية تسهيلات أو مساعدات للفرنسيين في غزوهم للجزائر ، وما يؤكد ذلك تلك الرسالة التي بعثها حاكم طرابلس يوسف باشا القرمانلي إلى الداي حسين حاكم الجزائر في 07 ماي 1830 والتي جاء فيها مايلي : ((.....وان تشوقتم سيادتكم لكيفية أحوالنا فإننا في غاية التعب [1]، وضيق الخاطر ، والنصب خصوصا بعدما سمعنا بأن الفرنسيين جمع جنوده ومتوجه لوجاقكم لا بلغة الله مقصودة....ونحن مالنا قدرة نمدكم بها إلا بصالح الدعوات منا ، ومن جملة أهل وجاقنا في المساجد عند اثر الصلوات كما نطلب منكم ذلك في كل الأوقات وعلى الله القبول بجاه أكرم شفيع واجل رسول .....))[2].

ونجد ان عدم قدرة الطرابلسيين على تقديم المساعدات لإخوانهم الجزائريين ، تلك الأوضاع الصعبة التي كانوا يعيشونها في جميع المجالات خاصة ، التدهور الاقتصادي والتدخلات الخارجية خاصة الفرنسية والانجليزية ، وقيام ثورات داخلية عديدة بمختلف الأقاليم الليبية (1806-1830) والتي كانت نتيجة سياسة الضرائب التي انتهجتها الدولة ضد الأهالي والتي أثقلت كاهلهم .

بالإضافة إلى التهديدات المتكررة من طرف الأساطيلالأوربية ، والتي تمكنت من إطلاقأسرى القراصنة عام 1819 وتدخل القناصلة الانجليز والفرنسيين على وجه الخصوص في الشؤون الداخلية لطرابلس الغرب ، ورغم ذلك فإنه وقع خبر احتلال فرنسا للجزائر كان قويا على الطرابلسيين حيث

1- نفسه ، ص 302.

2- عبد الحميد زوزو ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1830-1900) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 46 .

.ذكر القنصل الانجليزي بطرابلس وارنجتون ، ان وصول خبر احتلال فرنسا للجزائر يوم 26 جويلية 1830 قد احدث قلقا وهيجانا بين سكانها المسلمين[1].

وقد ترتب عن موقف طرابلس الغرب المعادي لاحتلال فرنسا للجزائر ان فرضت فرنسا على حكومة طرابلس معاهدة مجحفة في 11 أوت 1830 وذلك بعد ان أرسلت إليها أسطولها لإرغام حاكمها على الاعتذار لفرنسا وتقديم تعويضات مالية وإلغاء القرصنة البحرية والامتناع عن اخذ الإتاوات وتسليم الهدايا ، والعمل على حماية السفن الأوربية وفي مقدمتها الفرنسية وتحسين نظام التجارة والتبادل التجاري البحري [2].

[1]-أرزقي شويتام ، دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي ، الفترة العثمانية (1519-1830)، ط1 ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2010 ، ص 133 .

[2]- نصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص 302 .

الفصل الثالث

IV-توتر العلاقات الطرابلسية مع انجلترا وفرنسا حول مسألة الديون

المبحث الأول : التنافس الانجليزي الفرنسي حول طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا القرمانلي

المبحث الثاني:المطالبة بسداد الديون الانجليزية وأثرها على العلاقات الانجليزية الطرابلسية

المبحث الثالث: المطالبة بديون فرنسا عند طرابلس الغرب

IV-توتر العلاقات الطرابلسية مع انجلترا وفرنسا:

المبحث الأول :التنافس الإنجليزي الفرنسي حول طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا القرمانلي:

لا شك أن حرب نابليون بونابرت في البحر المتوسط بصفة عامة وحملته على مصر بصفة خاصة، كانت من العوامل الأساسية والمهمة التي أظهرت أهمية موقع ليبيا الاستراتيجي،(انظر الملحق رقم 2)تلك الأهمية التي دفعت بريطانيا للحصول على أي تقارب بينها وبين طرابلس الغرب لكي تقيم نوعا من التوازن في العلاقات الدولية، وحتى لا تكون لفرنسا الأسبقية وبالتالي يمكنها إحباط محاولات فرنسا لكسب طرابلس بجانبها خاصة بعد أن نجحت في توثيق نفوذها في مصر.

من أجل هذا، عملت بريطانيا بكل ما لديها من وسائل لتوطيد علاقاتها مع حكام الأسرة القرمانلية، وخاصة (يوسف باشا) بعد أن دخلن حلبة المعركة في حوض البحر المتوسط، من أجل هذا فقط اختارت أحد رجالها المشهورين بالكفاءة والخبرة والنشاط ليكون قنصلا عاما في طرابلس هو: (الكولونيل وارنجتون).

الذي سبق أن حارب ضد (نابليون) في إسبانياHanmerWarringtoواستطاعت بريطانيا بفضل نشاط هذا القنصل أن تتغلب على النفوذ الفرنسي عند (يوسف) وأن تعوض ما فقدته في مصر من نفوذ بفضل السيد (دوفنتي) القنصل الفرنسي هناك، الذي استطاع (محمد علي باشا) بمساندته أن يكسب الكثير[1].

ومنذ وصول هذا القنصل إلى طرابلس في الثلاثين من نوفمبر سنة 1814م أخذ يعمل بكل ما لديه من قوة لغرض سيطرته على الباشا، بعد أن أصبح النفوذ الانجليزي قد بلغ ذروته بعد الأحداث الأخيرة، وبذلك أصبح هذا القنصل مصدر إزعاج للباشا.

[1]-بعيو مصطفى عبد الله، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا، ص312.

ففي شهر سبتمبر سنة 1816م وقعت حادثة تدل على مدى تغلغل النفوذ الانجليزي في البلاد، عندما شاهد هذا القنصل من مسكنه المطل على البحر سفينة ليبية تدخل الميناء وهي تقتاد سفينة صغيرة كانت قد استولت عليها أثناء رحلتها البحرية فخيل إليه أنها سفينة إنجليزية تحمل العلم البريطاني، فغضب من ذلك، وعلى الفور ذهب إلى الباشا وطلب منه التحقق من ذلك: أن يصدر أمرا بشنق قبطان السفينة تحت الموضع الذي يرتفع فوقه علم السفينة المخطوفة، وقد تم هذا بالفعل في أقل من ربع ساعة، ثم اكتشفت بعد ذلك أن السفينة لم تكن انجليزية كما يدعي (وارنجتون) بل هي ألمانية، لأن (هانوفر) لم تكن لها معاهدة مع طرابلس ولذا فإن هذا القبطان لم يخالف أي قانون وذلك حسب المبدأ الذي كانت أوربا قد تغاضت عنه مدة طويلة[1].

وأن اللورد (إكسموت) أثناء حملته ضد طرابلس وعرض شروطه على الباشا لم يكن قد أقر ذلك المبدأ أو حبذه، لأن الانجليز كانوا قد اكتفوا بمطالبة الباشا بعقد معاهدات مع الدول التي كانوا يدافعون عنها[2].

ويبد من ذلك أن الحادثة إن دلت على شيء فإنما تدل على ضعف الباشا وما وصل إليه من التدخل الأجنبي في البلاد الذي لم يكن معروفا في المجال الدولي، ولكن عدم قدرة الباشا على التصدي لمثل تلك الأعمال: جعل النفوذ الأجنبي يتضاعف بشكل عجز الباشا عن مواجهته.

وفي الوقت الذي وصل فيه التدخل الإنجليزي قمته في البلاد نجد فرنسا هي أيضا تعمل جاهدة على إبقاء نفوذها في البلاد التي كثيرا ما استفادت من موقعها المهم خاصة أثناء حملتها على مصر وأهمية الأهداف التي حققتها عن طريقها، ولكن بعد أن طردت من مصر فإن نفوذها في البلاد أخذ بتضعضع، خاصة بعد أن استطاعت انجلترا فرض هيمنتها على الباشا عن طريق قنصلها (وارنجتون)، لهذا فإن فرنسا سارعت إلى إرسال السيد (روسو rousseau) خلفا للقنصل السابق (مير) الذي

[1]- فيرو، شارل- المصدرالسابق ، ج2 ص577.

[2]-نفسه، ج2، ص578.

طعن في السن ولم يكن في استطاعته فرض النفوذ الفرنسي في البلاد، وإرجاع هيبتها الأولى لدى الباشا[1].

وبوصول القنصل الفرنسي روسو في الثلاثين من يوليو 1825م إلى طرابلس أخذ يضاعف من نشاطه، لدرجة أنه تمكن من إجبار الباشا على احترام السياسة الفرنسية بدرجة لا تقل عن القنصل الانجليزي (وارنجتون) خاصة أن (روسو) كان من المستشرقين المعروفين، وبالتالي فإنه كان يتمتع بميزة القدرة على التداول والتحدث مع الباشا مباشرة دون الحاجة إلى مترجم لأنه كان يتقن اللغة العربية[2].

ومن المؤكد أن الخارجية الفرنسية كانت على مستوى المسؤولية حيث اختارت (روسو) قنصلا في طرابلس، فبمجرد أن وصل إلى البلاد واستلم مهام عمله أخذ يعمل بكل همه لإرجاع مكانة فرنسا وهيبتها، وفي الوقت نفسه فقد حرص على أن يكسب ود الباشا ذلك الود الذي جعل الأخير يرسل خطابا إلى وزير خارجية فرنسا عبر فيه عن امتنانه وإعجابه (بروسو) لما يمتاز به بحسن السياسة والمعرفة بأحوال الرياسة[3].

وقد استطاع (روسو) أن يسوي الكثير من الأمور المتعلقة، وأن يعيد السلام بين البلدين وقد لاحظ مدى المكانة التي تتمتع بها بريطانيا في البلاد، ومدى السياسة التي يسلكها مع الباشا بما يتمشى ومصالح بلاده مما أثار حق القناصل الآخرين إلا ان مجريات الأمور قد تغيرت بعد قدوم (روسو) الذي لم يكن يقل أهمية أو غيرة على مصالح بلاده مثل (وارنجتون) حيث حاول بكل وسيلة إعادة المركز الممتاز الذي كانت به فرنسا في المناطق[4].

---

[1]-شارل فيرو ، المصدر السابق ، ج2، ص591.

[2]- المرجع السابق، ج2، ص591.

[3]- وثائق وزارة الخارجية الفرنسية- خطاب يوسف باشا القرمانلي إلى وزير خارجية فرنسا بتاريخ 27 محرم سنة 1341هـ الموافق 1825م مجلد35.أنظر محمد الهادي أبوعجيلة، ص4.

[4]- ميكاكي رودلفو -المرجع سابق، ص 209.

ووفقا لمجريات الأحداث: فإن روسو قد نجح في مهمته لدرجة أثارت القنصل الإنجليزي الذي أخذ يعمل من جانبه على تدعيم مركز بلاده مما أوجد نوعا من التنافس بين القنصل الإنجليزي من جانب والقنصل الفرنسي من جانب آخر، بهدف السيطرة والاستحواذ على الباشا، وكانت وسيلة كل منهما مضاعفة النشاط الاقتصادي والسياسي، وبدا واضحا من يعرف في الدبلوماسية الحديثة بالتسلط القنصلي.

ولعل هذا التنافس كان سببا في ارتباك الباشا، وخلق العديد من المصاعب أمامه مما أفقده في النهاية قدرا كبيرا من سلطته وهيبته.

ولما كانت بريطانيا لا تريد أن تواجه فرنسا مباشرة، فقد حاول القنصل الانجليزي أن يشكك في النوايا الفرنسية لدى الباشا، ففي الوقت الذي أرادت الدول الأجنبية أن تنتزع من الباشا موافقة كتابية بإبطال ما يسمى بالقرصنة في البحر المتوسط وفقا لمؤتمر (إكس لاشابيل) فإن القنصل الانجليزي قد حاول أن يفهم الرأي العام الأوربي بأن فرنسا وراء تشدد الباشا.ووفقا لوثائق الخارجية البريطانية التي أشارت أن السياسة الفرنسية هيمنت على الباشا في محاولة لتضليله والسيطرة عليه بهدف أن تكون السياسة الفرنسية هي السائدة وأن تضطلع فرنسا بالمهمة القيادية باعتبارها صاحبة الخطوة عند الباشا[1].

ويبدو من ذلك أن (وارنجتون) أخذ يعمل بكل الطرق لكسب الباشا إلى جانبه حتى إن الأخير لما طالب بهدية جديدة من توسكانيا رغم معاهدة الصلح المعقودة بينهما وأبلغ القنصل التوسكاني رسميا في رسالة وجهها إلى قنصل سردينيا بتاريخ أول رمضان سنة 1243هـ الموافق 1827م، وهدد في حالة رفض توسكانيا لذلك بإعلان الحرب عليها، ومنحه مدة خمسين يومان وعندما انتهت هذه

[1]- وثائق وزارة الخارجية البريطانية- خطاب القنصل البريطاني وارنجتون إلى وزير الخارجية البريطاني بتاريخ 11 أكتوبر سنة 1819م تحت رقم -Fo6/40 03982. ، نقلا عن محمد الهادي أبوعجيلة، المرجع السابق، ص7.

المدة ولم يتحصل على هذا الطلب طلب القنصل منه مدة أخرى فوافق الباشا على ذلك ومنحه ثلاثين يوما[1].

وعندما علم القنصل الانجليزي بذلك استغل هذا الموقف خاصة وأن قنصل توسكانيا طلب منه التدخل لدى الباشا للقيام بأي عمل يمكنه من إرضاء الباشا وتقوية نفوذ بلاده فعقد اتفاق بين الطرفين وألزم الاتفاق توسكانيا بدفع هدية الباشا التي كان قد طالبهم بها[2].

وهكذا أخذت كلا الدولتين تنافس الأخرى في البلاد لفرض هيمنتها وسلطتها على الباشا.

وكان من العوامل الأساسية التي ضاعفت من التدخل الأجنبي وزيادة حدة التنافس بين إنجلترا وفرنسا: حركة الكشوف الجغرافية والوصول إلى أواسط إفريقيا، فإنجلترا أرادت أن تجعل طرابلس قاعدة لها، من خلالها يتم إرسال البعثات الكشفية المتجهة إلى إفريقيا وقد قام بهذا الدور قنصلها (وارنجتون) الذي أخذ على عاتقه نجاح هذا المشروع وجعل طرابلس قاعدة له.

وقد استطاع وارنجتون من خلال سيطرته على الباشا، أن يحصل على تعهد بضمان سلامة المستكشفين الانجليز عبر الأراضي الليبية وأن يقدم لهم كل مساعدة ممكنة[3].

وإذا كان القنصل الانجليزي قد حصل على هذا التعهد من الباشا إلا ان المشروع الإفريقي لم يكن جديدا لدى بريطانيا، إذ أن جمعية كشف أواسط إفريقيا الإنجليزية التي أسست في سنة 1788م

[1]- رسالة يوسف باشا القرمانلي إلى قنصل سردينيا بتاريخ 1 رمضان سنة 1243هـ الموافق 1827م نقلا عن ميكاكي رودلفو- المرجع السابق، ص 51.

[2]- ميكاكي رودلفو- المرجع السابق- ص 194.

[3]- وثائق وزارة الخارجية الفرنسية- خطاب القنصل الفرنسي مير إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 30 ديسمبر سنة 1818م، مجلد 34،نقلا عن محمد الهادي أبوعجيلة ، المرجع السابق، ص 10.

كانت قد أقرته وسافر وليم لوكاس في شتاء عام 1788-1789م طرابلس محاولا الوصول إلى غامبيا، ولكنه فشل في هذه المحاولة لأن (لوكاس) لم يتخط حدود مصراتة[1].

ثم نهاية الدكتور (فريدريك هورنمان) المحزنة، الذي توجه من القاهرة إلى سيوة وأوجلة ثم مرزق وتوغل في أقاليم نهر النيجر – أدى إلى توقف هذا النشاط لعدة سنوات ثم استؤنف بعد ذلك في سنة 1818م.[2]

ولم تعجز السياسة الفرنسية عن الحصول على امتيازات تعادل ما حصلت عليه انجلترا، حيث تمكنت الدبلوماسية الفرنسية من الحصول على امتياز يمكنها من دراسة هيدرولوجية مياه خليج سرت سنة 1821م عن طريق قنصلها (مير) وتعهد الباشا بتقديم كل المساعدة الممكنة واللازمة للرحالة الفرنسيين الذين استطاعوا المجيء إلى طرابلس ودرنة والمرج وطلميثة و توكرة و أوجلة ومرادة وسيوة[3].

في حين أن انجلترا أخذت ترسل بعثاتها الكشفية إلى طرابلس فكانت أولى هذه البعثات تتكون من الدكتور (ريتشيritchie) والكابتن (ليونlyon) و(دي بونتDEPONT) وتشير بعض المراجع [4] إلى أنه قد حدث خلاف بين (بيشي ليون) و (دي بونت) رئيس البعثة بعد الاستعدادات التي استغرقت عدة شهور، مما جعل رئيس البعثة بعد الاستعدادات التي استغرقت عدة شهور، مما جعل رئيس البعثة يقرر العودة إلى بلاده، في حين غادر الآخرون طرابلس مع قافلة كبيرة مسلحة بقيادة (محمد المكني بك) حيث مرو بمدن غريان وبني وليد وسوكنة وسبها وفزان حتى وصلوا إلى مرزق.

[1]-ميكاكي رودلفو- المرجع السابق، ص 211.

[2]- موري، اتليتيو- الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا،تعريب خليفة التليسي، ط،1بيروت ، 1971م، ص 24-25.

[3]- فيرو شارل- المصدر السابق،ج2،ص 582،حاشية رقم 1.

[4]- ميكاكي رودلفو -المرجع السابق،ص211.

وفي العشرين من نوفمبر سنة 1819م أصيب (ريتشي) بمرض خطير أرغمه على العودة إلى طرابلس ومنها إلى إنجلترا، ثم أكمل صديقه ليون الرحلة حيث اكتشف الأراضي الواقعة جنوب تلك المدينة ثم عاد إلى طرابلس بعد أن أصيب بالمرض نفسه الذي أصيب به (ريتشي) في شهر مارس وحمل معه كل ما تركه (ريتشي) ومن طرابلس أبحر إلى انجلترا[1].

وعلى الرغم من أن هذه البعثة قد حققت بعض النجاح، إلا أن (وارنجتون) قد وجه للباشا أشد العتاب على اعتبار أن (محمد المكني) مندوب الباشا لدى البعثة – لم يكن على المستوى المطلوب خاصة بعد أن

اشتكى (ليون) للقنصل (وارنجتون) من تصرفات المكني نحوهم، وانه لم يقدم على أي مساعدة أثناء مرض (ريتشي)[2].

وعلى الرغم من أن كل النتائج المرجوة من تلك البعثة لم تتحقق، إلا أن القنصل الإنجليزي قد كتب على حكومته مشيدا بالإنجازات الهائلة التي حققتها البعثة، ولعله كان يهدف إلى لفت نظر حكومته إلى أهمية مثل هذا النوع من المشروعات وسيلة لتأكيد الوجود البريطاني على حساب الوجود الفرنسي، ولذا فقد اهتمت الخارجية البريطانية بهذه المشروعات حيث أرسلت بعثتين إحداهما تقوم بمسح سواحل سرت وبرقة ودراسة آثار هذا الإقليم، أما الثانية فكانت مهمتها كشف بلاد السودان وكانت البعثة الأولى تتكون منوليم سميث والأخوين بيتشيBechey حيث وصلوا مدينة طرابلس في سبتمبر سنة 1821م وبعد استعدادات شاقة اتجهوا نحو الشرق لإتمام المهمة المكلفين بها، وبعد مدة وجيزة من سفر البعثة الأولى حضر أعضاء البعثة الثانية وهم الدكتور والتر أودني walteroudny

[1]– وثائق وزارة الخارجية الفرنسية – خطاب القنصل الفرنسي مير إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 20 أبريل سنة 1922م ،مجلد 34.نقلا عن محمد الهادي أبوعجيلة ، المرجع السابق، ص10.

[2]–المصدر نفسه، مجلد 34،

والكابتن أوج كالبرتونOgkalpertonوالميجور دنهام ديكستونDikston) وبقوا بها بضعة أشهر لإعداد الرحلة[1].

وقد قدم يوسف باشا لأعضاء هذه البعثة مساعدات كثيرة نظير مبلغ عشرة ألاف قرش نقدا مع الوعد بدفع مثل هذا المبلغ بمجرد العلم بوصول هذه القافلة إلى (بورنو) وفي أوائل مارس سنة 1822م غادروا طرابلس متجهين نحو مرزق وقد صحبهم وارنجتون لمسافة طويلة من الطريق وكان ينوي إقامة نائب قنصل في بورنو[2] ولكن دنهام ديكستون عاد إلى بلاده ليطلب تعليمات جديدة، واعتمادات مالية أخرى، وقد وصلت هذه التعليمات والاعتمادات عندما كان محجوزا في الحجر الصحي بمدينة مرسيليا، فبادر على الفور بالعودة إلى طرابلس، وحصل على قوة حراسة مكونة من مائتي رجل مسلح، مقابل دفع عشرة آلاف قرش ولحق برفاقه في مرزق وكانوا في أثناء ذلك قد زاروا فزان الغربية وقد توغلت البعثة حتى وصلت إلى بورنو وبحرية تشاد[3].

ولكن بموت أودني في 12 يونيو سنة 1824 عاد إلى أعضاء هذه البعثة، ومع هذا فإنه لم يأت شهر يناير سنة 1925م، حتى عادو مرة ثانية إلى طرابلس.

ويبدو أن نجاح هذه البعثة الكشفية قد جعلت وارنجتون سعيدا بهذا الإنجاز الذي اعتبره نجاحا له شخصيا، خاصة أنه صاحب فكرة هذا المشروع، الذي أعطى الإنجليز السبق في كشف شمال إفريقيا، ويقول وارنجتون في إحدى رسائله إلى حكومته يسوؤني أن تستفيد أمة من السبق العلمي

[1]-ميكاكي رودلفو- المرجع السابق، ص 212.

[2]- وثائق وزارة الخارجية الفرنسية بباريس، خطاب القنصل مير إلى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 10 مارس سنة 1922م مجلد 35، نقلا عن محمد الهادي أبوعجيلة ، المرجع السابق، ص10.

[3]- وثائق وزارة الخارجية الفرنسية بباريس، خطاب القنصل مير إلى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ 27 سبتمبر سنة 1823م مجلد 36، نقلا عن محمد الهادي أبوعجيلة، المرجع السابق، ص10.

الهائل الذي حققنه إنجلترا بكشف إفريقيا الشمالية، وسأتخذ كل الإجراءات حتى لا يقوم المكتشفون الفرنسيون باكتشاف ياردة واحدة داخل البلاد.

ومن المؤكد أن وارنجتون كان حريصا على أن تكون المنطقة الشمالية لإفريقيا موضع اهتمام إنجلترا فقط، ولعل هذا ما يضاعف الاعتقاد في أن الصراع الفرنسي- الانجليزي قد وصل ذروته وخصوصا بعد مقتل الرحالة الانجليزي الميجور (جوردون لاينج* Gordon Laing) الذي أرسلته انجلترا لإتمام أعمال البعثة السابقة لكشف بلاد السودان الغربي حتى تمبكتو وبلاد النيجر، فقد اتهم (وارنجتون) القنصل الفرنسي (روسو) بالاشتراك في هذه المؤامرة التي أودت بحياته[1].

وبعد انقضاء فترة قليلة على رحلة دنهاموكلابرتون و أودني، كلفت وزارة المستعمرات البريطانية الميجور (جوردن لاينج) أحد ضباط المستعمرات الممتازين بالقيام بمهمات جغرافية أخرى لإتمام أعمال البعثة لكشف بلاد السودان الغربي حتى تمبكتو ونهر النيجر[2].

عاد لاينج إلى طرابلس في يونيو سنة 1825 ليبدأ رحلته من طرابلس إلى أواسط إفريقيا، وقد توثقت علاقته بالقنصل وارنجتون الذي زوجه ابنته وبعد يومين من هذا الزواج، بدأ رحلته في السادس عشر من أغسطس سنة 1825م متجها نحو (غدامس) بعد أن طلب وارنجتون من الباشا حماية هذا الرحالة فوافق الباشا على ذلك وكلف رجالا يثق فيهم لحمايته داخل مدينة (غدامس) لأن سلطاته لا تتعدى حدود تلك المدينة وحذر لاينج بأنه لا يستطيع أن يقدم له الحماية خارج هذه الحدود، وأنه غير مسؤول عما يقع له من المخاطر والمصاعب التي ربما تحدث له أثناء رحلته، ولا سيما من غزاة

*ولد لاينج في ادنبرة يوم 27 ديسمبر 1793 وكان مثقفا وضابطا من ضباط المستعمرات البريطانية، وبعد أن عمل في الهند الشرقية عدة أعوام انتقل إلى مستعمرات سيراليون ثم ساحل العاج حيث قام بمهمات كبيرة ذات طابع جغرافي، أظهرت صفاته ومواهبه كمكتشف جغرافي مما جعل وزارة المستعمرات تختاره لمواصلة كشف الخطة القديمة الرامية إلى الوصول إلى تمبكتو الغامضة حتى نهر النيجر.راجع ذلك في كتاب- تيليو موري- المرجع السابق ص38.

[1]- فيرو شارل- المصدر السابق ذكره، ج2 ص 610.

[2]- موري اتليتيو- المرجع السابق، ص 37-38.

الهجار(Hog-ger) لما اشتهروا به من كرههم الشديد للأجانب عموما غير أن الميجر لاينج – بالرغم من تسلمه التحذير الذي أبداه له الباشا إلا أنه قد أصر على القيام بتلك الرحلة[1]. فقد وصل إلى غدامس ومنها إلى توات دون أية مصاعب، وكان يرافقه الحاج (محمد باباني) المكلف من قبل الباشا برعايته الذي أمده ببعض خطابات توصية إلى أعيان تمبكتو وإلى الشيخ (مختار الشنتاوي) وفي غدامس انظم إليهم تجار آخرون، وأثناء الاستراحة في الصحراء فوجئوا بغارة عليهم من قبل الطوارق قتل فيها (الحاج محمد باباني) كما جرح (لاينج) جرحا بالغا ثم اتجهوا بيت الشيخ مختار الشنتاوي الذي وجه إليه ترحيب أعيان البلاد، إلا إقامته لم تدم طويلا، لأن (محمد بلو) سلطان قبائل الفولا كتب إلى أعيان المدينة – حينما أخبر بوصول الميجر (لاينج) إلى المدينة- طلب منهم عدم إطالة إقامته موعزا إليهم بتدبير قتله والتخلص من الآثار العلمية التي قد وصل إليها[2]، وتولى قيادة القافلة (الخصر بن الحاج متيتن) إبن عم (محمد باباني) وبقى (لاينج) عند الشيخ (مختار الشنتاوي) ضيفا حتى شفى وبعدها واصل رحلته حتى وصل تمبكتو دون أية صعوبة وقد ترك (لاينج) البلاد ليلا بصحبة مرافقه، أما التجار الغدامسيون فلم يستطع أحد السفر معه بعد التحذير الذي تلقوه من سلطان الفولا، وبعد أيام من سفره، وعلى بعد مراحل من تمبكتو قتل الميجور (لاينج) وهو نائم من أحد المرافقين له، في (سانسيدي) في إقليم بامبر، وقضى على جميع الآلات التي يستخدمها والتخلص من كل الوثائق التي كان يحملها، وما أن علم تجار غدامس بهذا الخبر حتى أبلغوا الباشا بذلك، وعندما روى هذا الخبر للقنصل وجه إليه الاتهام وطلب من القنصل (وارنجتون) الرجوع إلى تصريحاته السابقة بأنه غير مسؤول عما يحدث للميجر (لاينج) إذا تعدى دولته، ومع هذا فإن (ورانجتون) قد وصل به الأمر أن صرح للرأي العام الأوربي ولحكومته باتهام يوسف باشا بتدبير مقتل (لاينج) ولما أدرك الباشا أن القضية تطورت بشكل أكبر مما يتوقع، طلب من القناصل المعتمدين لديه أن يعلن كل

[1]- مجلة المستعمرات البريطانية(وثائق عن نهاية العهد القرمانلي) تقديم اسماعيل كمال. (ترجمة محمد مصطفى بازامه)، العدد الأول والثاني والثالث ، السنة الرابعة يناير ومارس سنة 1930م، ص12.

[2]- المرجع السابق،ص 15.

منهم في صحب بلاده جميع الأخبار التي تتعلق بتلك القضية بهدف إطلاع الرأي العام الأوربي على القضية وعدم مسؤولية الباشا[1]، وحتى تكتشف الحقائق، فقد طلب (وارنجتون) من الباشا إيفاد رجل يثق فيه مصحوبا بتوصية خاصة إلى الشيخ (مختار الشنتاوي) للتأكد من حقيقة الوضع، وإذا كان الخبر صحيحا فعليه بإتيان الوثائق، ويوميات الرحلة التي كان يحملها (لاينج).

ولكي يعبر الباشا عن نيته: وافق على ذلك، وفي الوقت الذي ذهب فيه هذا المندوب، وصل الخطاب إلى الباشا من الحكومة الانجليزية استنادا إلى ما وصلها من معلومات عن مقتل (لاينج) وكانت صيغة الخطاب شديدة اللهجة، حيث التقت الخارجية البريطانية مسؤولية مقتل (لاينج) على الباشا وأخذت عليه تهاونه وعدم الاعتناء بمواطنها (لاينج) وغيره من الانجليز[2].

وقد رد الباشا هذا الاتهام في خطاب وجهه إلى وزير الخارجية البريطاني (وليم هسكسن) بتاريخ 26 يناير 1828م أوضح فيه الأمور التي تتعلق بهذا الحادث، مؤكدا عدم مسؤوليته عما حدث على اعتبار أنه قد نبه (لاينج) وبحضور القنصل (وارنجتون) عن المخاطر التي من الممكن أن يتعرض لها[3]، وحتى يبدد الباشا أية مسؤولية قد توجه إليه: فقد جمع كل الخطابات والوثائق المتعلقة بالموضوع التي تؤكد في مجملها عدم مسؤوليته عما حدث وسلمها إلى (وارنجتون) ، وعلى الرغم من كل المبررات التي أوردها الباشا، إلا أن وارنجتون ألقى المسؤولية على الباشا لدرجة أنه قد بدأ يفكر في الانتقام وتلقين الباشا درسا قاسيا.

[1]- خطاب القنصل الفرنسي روسو إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 18 ابريل سنة 1827م نقلا عن ميكاكي رودلفو- المرجع السابق ص215.

[2]-خطاب الحكومة الانجليزية إلى يوسف باشا بتاريخ 26 يناير سنة 1828م نقلا عن مجلة المستعمرات الايطالية العدد1-2-3 من السنة الرابعة يناير ومارس سنة 1930م،جمع اسماعيل كمال ترجمة محمد مصطفى بازاما،ص17.

[3]- وثائق وزارة الخارجية الفرنسية- خطاب يوسف باشا إلى وزير الخارجية البريطانية وليم هكستس بتاريخ 26 يناير سنة 1828 م مجلد 36 نقلا عن محمد الهادي أبوعجيلة، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث و المعاصر ، المرجع السابق، ص20.

ومنذ ذلك الحين سيطرت على وارنجتون الذي أصيب في آماله من فكرة الانتقام للقتيل ممن يعتقد أنهم مسؤولون عن ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر فطلب من قائد الأسطول البريطاني في البحر المتوسط أن يرسل فورا إلى طرابلس سفينة حربية وبمجرد وصولها توجه بصحبة قائدها (توماس ستينسThomas staines) إلى الباشا، وصرح له : أن من حقه أن يعتقد أن الباشا ورجاله كانوا سيء النية وأنهم إذا استمرو في هذا المسلك ستكون النتيجة وبالا عليهم[1].

ومع هذا فإن الباشا لم يعط لهذا الأمر أية أهمية، بل حاول بكل الطرق إثبات الحقائق لكي تكون الحقيقة واضحة وضوح الشمس لدى الحكومة البريطانية، كما طلب منها أن تتحرى الحقائق ولا تستقي المعلومات من مصادر غير رسمية وموثوق بها كما أوضح لهم الخدمات التي قدمها للميجور (لاينج) الذي شكره على ذلك كما شكر محمد باباني المرافق له ولحمايته.

ويبدو أن الخارجية البريطانية قد أدركت حقيقة الموضوع من خلال الوثائق الرسمية التي تؤكد عدم مسؤولية الباشا، ولذا فقد أوفدت الكابتن هندميرش إلى طرابلس لمساعدة قنصلها في أن يصفي جميع المشاكل المتعلقة بتلك القضية، والتوصل إلى اكتشاف أوراق الميجور لاينج وتنصحه بأن يكون حريصا عند تعامله مع الباشا، حتى لا يجرح شعوره مما يدفعه إلى الارتماء في أحضان الفرنسيين[2] .

وعلى الرغم من هذه النصيحة إلا أن وارنجتون لم يتوان في سياسته العدوانية فعندما فشل في اتهامه ليوسف باشا أخذ يبحث عن طريقة أخرى حيث اتهم روسو القنصل الفرنسي علانية مدعيا أن له دخلا في مقتل لاينج وأبلغ حكومته بذلك، وأكد هذا الاتهام صراحة أنه قد حصل على الأوراق والوثائق واليوميات الخاصة بالميجور لاينج التي حملها الخضر إلى طرابلس وسلمها إلى (حسونة

[1]- وثائق وزارة الخارجية الفرنسية- خطاب القنصل الفرنسي روسو إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 6 ديسمبر سنة 1827م مجلد36. نقلا عن محمد الهادي أبوعجيلة، نفسه، ص25.

[2]- وثائق وزارة الخارجية البريطانية- خطاب من مكتب السكريتارية بمالطا إلى القنصل وارنجتون بتاريخ 11 أبريل سنة 1831م تحت رقم - 039275- FO 60/51.نقلا عن محمد الهادي أبوعجيلة، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث و المعاصر ، المرجع السابق، ص15.

الدغيس) الذي سلمها بدوره إلى روسو وما إن علم هذا الأخير بالاتهام الموجه إليه شخصيا إلا أن الأخير رفض مجرد علم القنصل الفرنسي، مما دفعه إلى أن يكتب إلى حكومته لكي تتخذ ما تراه من إجراءات دفاعا عن شرف ممثلها في طرابلس [1].

ولم يكتف وارنجتون باتهام القنصل الفرنسي فقط وإنما اتهم (حسونة الدغيس) ووفقا لإحدى مقابلات (وارنجتون) مع الباشا أشار الأول إلى مسؤولية حسونة الدغيس على اعتبار أن لديه العديد من الوثائق التي تؤكد مسؤولية (الدغيس) عن هذا الحادث وأشار (لاينج) إلى أن الدغيس يعمل لمصلحة القنصل الفرنسي ويقترح وارنجتون أن يقوم الباشا بإحضار حسونة الدغيس وأن يمارس عليه قدرا كبيرا من الضغط لكي يعترف بمسؤوليته عن أوراق لاينج وعمالته للقنصل الفرنسي[2].

وقد ابتهج وارنجتون بهذا الاتهام الذي وجهه الباشا (لروسو) وعلى الفور طالب وارنجتون روسو بهذه الأوراق وقد استاء الأخير من هذا الاتهام، وطلب من الباشا تكذيبا رسميا لهذا الاتهام، والإهانة التي لحقت بفرنسا، وإلا أنه سيغادر البلاد، إذا لم يتلق نص هذا التكذيب حتى المساء، وعندما لم يتلق هذا النص خلال الفترة الممنوحة فإنه غادر البلاد بعد أن عهد إلى القنصل الإسباني رعاية مصالح بلاد[3].

وأمام هذه الضغوط والتهديدات البريطانية، استجاب الباشا لطلب وارنجتون في إجراء تحقيق في هذا الأمر، لذا كتب إلى ممثله في غدامس يأمره بالعمل على إيفاد (الحضر) وجميع الرجال الذين رافقوا لاينج في رحلته إلى السودان، وكذلك جميع الذين تلقوا معلومات عن مقتل (لاينج) ثم استدعى (حسونة الدغيس) للتحقيق معه، كما حضر هذا التحقيق القنصل وارنجتون، ولما كان الباشا قد وقع

[1]- وثائق وزارة الخارجية الفرنسية- خطاب القنصل الفرنسي روسو إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 21 يونيو سنة 1829م مجلد36، نقلا عن محمد الهادي أبوعجيلة، نفسه، ص15.

[2]- من وثائق وزارة الخارجية البريطانية – خطاب القنصل البريطاني وارنجتون إلى وزير الخارجية البريطاني – بتاريخ 10-12 يناير سنة 1831م تحت رقم-FO/60/50-139275 ، نقلا عن محمد الهادي أبوعجيلة، نفسه، ص16.

[3]- شارل فيرو،المصدر السابق، ج2، ص606.

تحت تأثيره لذا فقد مارس نوعا من الضغط على الدغيس في محاولة على الحصول على اعتراف رسمي، يؤكد مسؤوليته عن الحادث إلا ان الدغيس نفى كل التهم الموجهة إليه، وأبت عليه كرامته إلا ان يدافع عن نفسه أمام قضاة مغرضين، فانسحب وخرج من القلعة إلى قنصلية أمريكا[1]، واعتقادا من الدغيس أن القاضي هو الخصم فقد طلب الحماية من القنصل الأمريكي وطلب من الباشا ضمان حسن نواياه لدى الدغيس ولما رفض الباشا إعطاءه تلك الضمانات المطمئنة، أبحر الدغيس بالاتفاق مع القنصل الأمريكي وبتدبيره – تحت ستار الليل- على ظهر باخرة أمريكية كانت بالمصادفة مسافرة في تلك الفترة من طرابلس.

وعلى ضوء ذلك : اتخذ القنصل البريطاني وارنجتون هذا الاعتراف والقرارين اللذين اعترف بهما الرجلان اللذان كانا يرافقان لاينج أثناء رحلته بخلاف الأشخاص الأخرين وأنهما يعرفان أن الوثائق قد حملها الخضر إلى طرابلس وبدوره سلمها إلى الدغيس وقد دون وارنجتون تلك الأقوال، بالإضافة إلى الرسائل التي في حوزته وأرسلها إلى حكومته.

وهكذا فقد تطور الخلاف بين بريطانيا وفرنسا، وبدأت سلسلة من المكاتبات والمراسلات بين البلدين، ولكن فرنسا التي كانت واثقة من سلامة موقفها، تمسكت بوجوب تحقيق صارم في قضية الميجر لاينج ووثائقه، وبناء على ذلك أجري تحقيقان أحدهما في وزارة الخارجية الفرنسية، وأجري الثاني في المكتب الاستعماري البريطاني، وقد أسفرت هذه التحقيقات عن استحالة إثبات الاتهام ضد روسو وأن كل التهم الموجهة إليه باطلة. ويبدو أن هذا الحادث قد أدى إلى ارتباك كبير في البلاد نتيجة التنافس بين البلدين داخل البلاد، الذي راح ضحيته الباشا ومعاونوه لأنه أمام هذه التهديدات و الضغوط المستمرة ضده من بريطانيا وافق على كل ما يطلبونه منه في حين أنه لم يعط أي اهتمام لفرنسا مما جعلها تعد لخطوة انتقامية لما بدر منه تجاهها، وبذلك زادت حدة التنافس بين بريطانيا وفرنسا، حتى أدى في النهاية إلى نهاية حكم الأسرة القرمانلية في البلاد[2].

[1]- ميكاكي رودلفو- المرجع السابق ص217.

[2]-محمد الهادي أبوعجيلة، المرجع السابق، ص30.

المبحث الثاني: المطالبة بسداد الديون الانجليزية وأثرها على العلاقات الانجليزية الطرابلسية:

عقب الاتفاق على مبدأ دفع الديون الفرنسية بين يوسف باشا والقنصل الفرنسي شوبيل، تقدم القنصل الانجليزي وارنجتون إلى الباشا بطلب ترضية الدائنين الإنجليز، ولكنه لم يتمكن من الحصول إلا على جزء يسير من مجموع الديون الإنجليزية المستحقة على إيالة طرابلس.

وخلال شهر ديسمبر سنة 1831م، يناير 1832م جدد وارنجتون مطالبته للباشا بضرورة سداد هذه الديون، الأمر الذي أدى إلى استيائه، فأخذ يناوئ الباشا ويتودد علانية على المتمردين، ويبدي عطفه عليهم، وخاصة بعد أن شعر بميل يوسف باشا الشديد نحو القنصل الفرنسي وإعطائه الأولوية في السداد للديون الفرنسية.

وفي أبريل سنة 1832م قدمت إلى ميناء طرابلس من مالطة المدمرة الانجليزية (كرويطة) بقيادة النقيب جري(Gery) وهي نفس السفينة الحربية التي كانت راسية في ميناء طرابلس في مطلع ذلك العام[1].

وكان قائد هذه السفينة الحربية يحمل رسالة من نائب قائد الأسطول الانجليزي في البحر الأبيض المتوسط إلى يوسف باشا يحتج فيها على المماطلة والتسويف في السداد للديون الإنجليزية المستحقة على إيالة طرابلس، ويطالب الباشا بتنفيذ الالتزامات التي سبق أن تعهد بها في هذا الشأن.

وقد استقبل وارنجتون قائد السفينة الانجليزية الحربية بالترحاب على أرض مدينة طرابلس البحري، وأقام له حفلة غذاء في بيته مع أعضاء القنصلية الإنجليزية[2].

1-اسماعيل كمالي،المرجع السابق، ص67

2- نفسه ص68.

وخلال ذلك أوضح وارنجتون للنقيب جري أن خزينة الإيالة لازالت مليئة بالأموال وأن يوسف باشا يتعمد المماطلة في دفع الديون الانجليزية، كما أكد له عدم اقتناعه بالظروف التي يتحدث عنها يوسف باشا.

وكان وارنجتون قد تلقى في 9 أبريل سنة 1832م رسالة من يوسف باشا يعتذر له فيها عن التأخير في سداد الديون الإنجليزية المطلوبة على إيالة طرابلس بسبب التمرد القائم في فزان ذلك الوقت، ووعد بسداد المطلوب عندما تتمكن الحملة التي بعث بها إلى هذه المنطقة بقيادة الشيخ محمد المكني من إخماد هذا التمرد[1].

وبعد ذلك طلب النقيب جري مقابلة الباشا بصحبة القنصل الإنجليزي، وأثناء المقابلة تعهد يوسف باشا لهما بأنه سوف يدفع مبلغ سبعة وثمانون ألف وخمسمائة دورو من أصل هذه الديون وتبلغ حوالي تسعين ألف على أن يتم سداد المبلغ الذي عرضه عليهما خلال خمسين أو ستين يوما من تاريخ هذا الاتفاق المبرم بين الطرفين، ويتضح هذا من رسالة يوسف باشا إلى وارنجتون بتاريخ شهر ذي الحجة سنة 1247هـ الموافق لشهر مايو سنة 1832م والتي يقول فيها : (... تعرف أني تكلمت معك ومع القبطان فري متاع الكرويطة ودورت على جميع العمالة جانب فلوس الشرق والمغرب والمدينة ما يقرب من سبعة وثلاثين وخمسمائة دورو إن شاء الله هؤلاء القدر في الخمسين وإلا ستين يوما نخلصه).

كما عرض يوسف باشا عليهما استعداده لدفع سبعة آلاف وخمسمائة دورو لقائد السفينة النقيب ((جري)) فورا في حالة موافقتهما على تقسيم الثلاثين ألف على بقية المناطق.[2]

1- اسماعيل كمالي، المرجع السابق ص69.

2- نفسه ، ص 70.

ولكن العروض التي قدمها يوسف باشا على ملاك العقارات دفع مبلغ ستة آلاف قرش، كما أصدر أوامره إلى مشايخ القبائل القريبة والمجاورة من طرابلس بتحصيل إتاوة إضافية على كل شخص بالغ قدرها قرشين كضريبة رأس[1].

وكان الباشا يقصد من وراء ذلك جمع مبلغ السبعة آلاف وخمسمائة دورو التي تعهد بدفعها إلى القائد جري، وذلك على وجه السرعة وقبل أن تغادر السفينة الحربية الإنجليزية ميناء طرابلس.

ولكن رغم هذه الأوامر والإجراءات تأخر تحصيل هذه الضريبة مما تعذر على يوسف باشا دفع هذا المبلغ إلى قائد السفينة الذي اضطر للرحيل عن المدينة دون الحصول على أي مبلغ.

ومما يذكر أن الأموال التي تم تحصيلها في هذه الأثناء من الضرائب المتنوعة قد أنفقها على نفسه وأسرته في بذخ على نفس المستوى الذي كان يعيشه خلال السنوات الأولى من حكمه عندما كانت خزينة الإيالة عامرة بالأموال[2].

أ- تدهور العلاقات الانجليزية الطرابلسية:

وعلى إثر فشل وارنجتون والقائد جري في الحصول على حل مرض لمشكل الديون الانجليزية المستحقة على إيالة طرابلس، فقد بدأت العلاقة تتدهور بين البلدين وخاصة بعد أن تكرر رفض يوسف باشا لاستقبال وارنجتون أو الاستماع إلى طلباته في هذا الشأن، مما اعتبره وارنجتون إهانة له.

وعلى إثر هذا ألح وارنجتون على قائد الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط في جزيرة مالطا لإرسال بعض سفن الأسطول الانجليزي إلى ميناء طرابلس بقصد إرغام يوسف باشا على دفع الديون المطلوبة.

1- اسماعيل كمالي ، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي ، ص 70 .
2- ميكاكي رودلفو ،المرجع السابق ، ص 235 .

وقد حاول يوسف باشا إصلاح الأمر قبل استفحاله فكتب إلى وارنجتون رسالة بتاريخ 3 من ذي الحجة سنة 1247 هـ الموافق 5 من مايو سنة 1832م موضحا له فيها حقيقة الأمر، وأنه يأسف لعدم استقباله بسبب المرض الشديد ولا يقصد من ذلك أية إهانة له وفيها يقول:

((.... وأنا لو كان ماني مريض راني قابلتكم بنفس وتكلمت معكم مقابلة لائقة الأمر، بيد الله سبحانه والملاقاة لها أوقات وسلم لنا على الكماندنت وإذا كان لأزماته حاجة عندنا مالنا زيادة وربنا يخلص هذه المادة على خير))[1].

وعلى إثر ذلك التقى وارنجتون بيوسف باشا ودار الحديث بينهما عن حالة اقتصاد إيالة طرابلس من جراء تردد عبد الجليل بن سيف النصر واحتلاله لمنطقة فزان التي كانت تدر الأموال الكثيرة لخزانة الإيالة، الأمر الذي تسبب في التأخر عن سداد الديون الإنجليزية.

كما عرض يوسف باشا خلال هذه المقابلة على وارنجتون بأنه يرغب على إطلاع الحكومة الانجليزية على هذا الأمر، الذي لا شك أن وارنجتون على دراية به، وأن الحكومة الإنجليزية وعلى رأسها الملك الإنجليزي وليم الرابع سوف تقتنع بالأحوال الراهنة وتوافق على تأجيل سداد هذه الديون لحين إنهاء هذا التمرد الذي يقوده عبد الجليل.

كذلك أشار يوسف باشا إلى المعاملات التجارية المتعددة التي جرت مع التجار الإنجليز منذ تولي وارنجتون منصبه كقنصل لإنجلترا في طرابلس، حيث كان سداد المبالغ المطلوبة يتم دون تأخير في المواعيد المحددة[2].

وأوضح الباشا أن الظروف التي حالت دون سداد الديون الحالية إنما هي ظروف طارئة، ولذلك بطلب الموافقة على تقسيطها على دفعات بحيث يسهل سدادها في أوقات غير متباعدة.

1- عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق،ص196.

2- اسماعيل كمالي،المرجع السابق، ص82.

ونظرا لتناقض إيرادات إيالة طرابلس من كل ناحية، فلم يعد الباشا قادرا على توفير رواتب حراسة ومصروفات قصره إلى جانب محاولة تجميع المبالغ المطلوبة لسداد الديون الانجليزية وغيرها، إلى أن يبيع بعض أثلث القلعة إلى التجار الأوربيين، وإلى تحويل بعض المدافع النحاسية والبرونزية بالقلعة، وكميات من الذهب والفضة التي بخزائن الإيالة، وبعض المساغ الذي يستعمله نساؤه إلى عملة للبلاد.

كذلك اضطر يوسف باشا إلى استبدال العملة النقدية الحالية أكثر من مرة، وإلى التنازل عن كثير من ممتلكاته وأملاكه العقارية وأملاك الإيالة الطرابلسية ومن بينها دور عدد من القنصليات الأجنبية[1].

وبالإضافة إلى ذلك فقد اضطر الباشا إلى منح الكثير من الامتيازات للشركات الأجنبية والتجار الأوربيين بصفة عامة مقابل مبالغ بسيطة بقصد الحصول على أكبر قدر ممكن من المال.

ب- محاولة عسكرية إنجليزية جديدة للضغط على يوسف باشا لسداد الديون المطلوبة:

ولم يقتنع وارنجتون بالأحوال السيئة التي آلت إليها الإيالة في ذلك الوقت، بل عاود ضغوطه على يوسف باشا لسداد أكبر قدر من هذه الديون.

ففي 12 من يوليو سنة 1832م، تقدم وارنجتون وهو غاضب إلى الباشا بطلب سداد مبلغ أربعين ألف دورو فورا مستحقة للدائنين الإنجليز، وهدد بقطع العلاقات مع الإيالة في حالة الرفض.

وقد فشل الباشا في تهدئة وارنجتون وطمأنته على نيته في سداد جانب من هذه الديون، ولكن وارنجتون تمسك بمطلبه وكتب إلى حكومته لإرسال بعض قطع الأسطول الانجليزي إلى مياه طرابلس لتشديد الضغط على يوسف باشا وإرغامه على السداد[2].

[1]- اسماعيل كمالي ، المرجع السابق ، ص 84 .

[2]- عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق،ص200.

وبعد ذلك بعدة أيام وصلت إلى ميناء طرابلس ثلاث قطع من الأسطول الإنجليزي في البحر الأبيض المتوسط وهي عبارة عن مدمرتين وطراد، بقيادة (دونداسDundas) وقد سارع وارنجتون باستقباله ومن معه على أرض ميناء طرابلس البحري بحفاوة وترحيب واتجه بهم إلى منزله بالمنشية[1].

وفي اليوم التالي توجه وارنجتون وبصحبته دونداس إلى القلعة لمقابلة يوسف باشا وفي هذا اللقاء تم تسليم الباشا إنذارا من طرف ملك إنجلترا بأن يدفع الديون الانجليزية المتراكمة خلال الثماني والأربعين ساعة التالية، على أنه في حالة الامتناع عن الدفع خلال هذه الفترة فسوف تتخذ الحكومة الانجليزية الإجراءات التي تراها مناسبة وتحدد فيما بعد.

وقد حاول يوسف باشا إنقاذ الموقف إنقاذ الموقف وإقناع القنصل الانجليزي والقائد دونداس بقبوله استلام مبلغ سبعين ألف دورو بعد خمسة عشر يوما من هذا التاريخ، وتعهد بدفع العشرين ألف دورو الباقية من جملة هذه الديون بعد أربعين يوما.

أما الديون التي تراكمت عن طريق التذاكر فقد عرض الباشا تسديدها بعد سنتين على أقساط طيلة هذه المدة، على أنه إذا تأخر في دفع أي قسط فإنه يتحمل خسارة قدرها ستة في المئة تعهد بدفعها بعد تمام سداد المبلغ الإجمالي لهذه الديون.[2]

وبهذه المناسبة طلب الباشا من وارنجتون الحد من التعامل عن طريق التذاكر وأن يكون ذلك بموافقة الباشا حتى لا يتسبب ذلك في تراكم الديون الإنجليزية مستقبلا ويتبين ذلك من رسالة يوسف باشا إلى وارنجتون بتاريخ 18 من صفر سنة 1248هالموافق ل18 من يوليو سنة 1832م

[1]- عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق،ص201.

[2]- نفسه ، 2002.

ويقول فيها:((..... نقدر نعطيكم الكلمة الصحيحة الذي نلموا على خمسة عشر يوما من يوم الذي ترضون به تسعين ألف دورو أما سبعين ألفا من هذا الشيء المذكور أعلاه، وأما عشرين ألفا على أربعين يوما وهذا العدد على التذاكر التي مضت أجلتهم وأما التذاكر الفاضلة والتذاكر التي أحلتهم باقية نعلموا فيهم تجريدة جديدة على الصح، ونضنوا نحن وعمالتنا الذين نخلصوا الأكثر من الذي نقدروا عليه إلى تمام العامين أما من يوم التاريخ إلى تمام أجلة الخلاص نؤدوا ستة في المائة خسارة الذي توقفت أجلته ولم يخلص ...

ونحن نطلبوا منكم في الزمان الآتي الذي تحسبوا علينا التذاكر متاع الناس البرانية التي يشترونها الناس السودتو متاعكم إلا برهانا لأن هذا الشي يكثر به الدين علينا وتنقص كلمتنا معكم في الشروط))[1]

هذا ولم يلق العرض الذي قدمه يوسف باشا القبول من وارنجتون ودونداس.

وكان طبيعيا أن يعجز الباشا عن سداد الديون المطلوبة خلال تلك الفترة القصيرة وهي مدة الثماني والأربعين ساعة التي حددها الإنذار المشار إليه.

ج- إيقاف العلاقات الإنجليزية وأثرها على حكومة طرابلس:

ولم يبق أمام وارنجتون إلا أن ينزل علم بلاده من فوق القنصلية الإنجليزية إيذانا بقطع العلاقات الإنجليزية مع إيالة طرابلس[2].

وقد تأثر يوسف باشا لذلك وحاول أن يثني وارنجتون عن عزمه، وطلب إليه إبلاغ حكومته عن الظروف الصعبة التي تمر بها البلاد منذ عام ونصف العام، مما اضطره إلى تأخير سداد الديون المطلوبة.

وأمام هذا التصلب الذي أبداه وارنجتون أمر يوسف باشا بعقد اجتماع طارئ لديوانه فورا، وحضر هذا الاجتماع كل أفراد أسرته ومشايخ القبائل القريبة من المدينة، واتفق جميع الحاضرين على دعوة

[1]-عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق،ص201.

[2]- حسن الفقيه حسن ، اليوميات الليبية ،ج 1 ، رقم اليومية 1574 .

القنصل الإنجليزي إلى القلعة للتشاور معه بالخصوص قبل أن يقدم على اتخاذ أي إجراء قد يزيد الأمر سوءا وتوترا بين البلدين.

رفض وارنجتون الدعوة وأبلغ رسول الباشا إعلام الديوان ويوسف باشا بأنه مصمم على تنفيذ مطلبه، وهدد بأن الحكومة الإنجليزية سوف توضح موقفها في أقرب وقت.

وعندما سمع يوسف باشا هذا التهديد الذي تفوه به القنصل الانجليزي إزداد عضبا وتوترا وكتب له خطابا آخر وأمر الرسول بإبلاغه له في الحال، وفيه أعلن عن استعداده دفع مبلغ مئة ألف ريال دورو بعد خمسة عشر يوما من هذا التاريخ وذكر الباشا أن هذا المبلغ سوف يتم جمعه باستخدام كل ما لديه من ذهب وفضة ومدافع نحاسية وسفن من ممتلكات أفراد أسرته[1].

ورغم كل ذلك فقد رفض القنصل الانجليزي الاستجابة لعرض يوسف باشا الجديد ويفهم ذلك من رسالة يوسف باشا المؤرخة في 23 من صفر سنة 1248هـ الموافق 23 من يوليو سنة 1832م إلى القنصل الايرلندي الذي فوضه وارنجتون برعاية المصالح الإنجليزية بإيالة طرابلس الغرب، وفي هذه الرسالة يقول الباشا:

((... قمت أنا لميت في ساعة عيلتنا ومخازينتنا من مشايخ ناسنا لأجل نجمعوا جميع على هذه المعنى وكتبنا ورقة لقنصل الإنجليز لأجل يتفضل علينا، وهو ما رد لنا جواب غير قال بالصبح الكلام وليصفي هذه الأمور، وبعد لميت مخازنيتي وجميع الناس مرة أخرى وبعدما حملنا كل جهدنا كتبنا له ورقة أخرى وقلنا له نعطوه في خمسة عشر يوما من التاريخ ماية ألف ريال دورو حاضرة وهذا العدد لموه من جميع صياغتنا ومراكبنا وجانب مدافع نحاس وحتى هذا الشيء ما رضى ويبغي يسافر)) [2].

[1] – حسن الفقيه حسن ،نفس المرجع ، رقم اليومية 1573 .

[2] – ميكاكي رودلفو ،المرجع السابق، ص236.

وفي ختام هذه الرسالة طلب يوسف باشا من القنصل الايرلندي بصفة شخصية إبلاغ الحكومة الإنجليزية والملك الإنجليزي بالظروف الصعبة التي تعانيها البلاد منذ عام ونصف العام.

وفي حالة عدم تمكنه من إبلاغ ذلك الأمر إلى الجهات المختصة عن طريقه مباشرة فقد رجاه الباشا الإلحاح على صديقه وارنجتون لإرسال نسخة من الرسالة المشار إليها مختومة بخاتم القنصلية الايرلندية، ليبعث بها بدوره إلى الحكومة الإنجليزية على وجه السرعة، وذلك رغبة في استمرار العلاقات السياسية والاقتصادية على النحو المرضي بين البلدين.

وطلب الباشا من القنصل الايرلندي موافاته بنسخة معتمدة من هذه الرسالة التي يرجو تسليمها إلى القنصل الانجليزي لتكون شاهدا على هذا الموقف.للابر

د- محاولة يوسف باشا لإعادة العلاقات مع إنجلترا:

ولهذا الغرض فقد أوفد يوسف باشا ابنه الأكبر علي بك إلى وارنجتون في بيته بالمنشية حيث لم يغادره بعد، وحمله رسالة منه إليه يرجوه فيها الإبقاء على العلاقات بين البلدين، وإعادة العلم الإنجليزي إلى موضعه فوق القنصلية الإنجليزية في أقرب وقت كما كان في السابق، ويتضح من الرسالة التي أرسلها يوسف باشا إلى وارنجتون بتاريخ 24 من صفر سنة 1248هـ الموافق 23 من يوليو سنة 1832م والتي يقول فيها: [1]

((... وتطلبكم أن تردوا الديون متاعكم في مطراحها، وترجع المحبة بيننا وبينكم وبين القويرنوا متاعكم مثل قبل)) [2]. (أنظر الملحق رقم 05)

[1]- ميكاكي رودلفو ،المرجع السابق، ص 237.

[2] - عبد الله خليفة الخباط، المرجع السابق،ص204.

وفي هذه الرسالة أيضا عرض يوسف باشا استعداده لدفع الدين القديم ويبلغ حوالي الثماني والتسعين ألف ريال دورو بما فيهم كميات من الذهب والفضة وتذاكر وغيرها، ويضاف إلى ذلك مبلغ عشرين ألف ريال دورو من قيمة الدين الجديد.

على أنه في حالة رفض وارنجتون لهذا العرض، فقد طلب الباشا مجددا تحكيم الملك الإنجليزي في الأمر باعتباره صاحب حق وعدل وموضع ثقة من الباشا.

ويعتقد الباشا أن الملك الإنجليزي لا يرضيه قطع العلاقات بين البلدين، وأنه سوف يقبل عذره في التأخر عن دفع الديون الإنجليزية في حالة معرفته للظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها إيالة طرابلس في السنتين الأخيرتين لهذه الفترة.

ولما لم ترد موافقة من وارنجتون على العرض الأخير الذي تقدم به يوسف باشا على يدي ابنه علي بك، فقد خشي الباشا احتمال قيام أحد وحدات الأسطول الإنجليزي على عمل حربي ضده في أقرب وقت.

المبحث الثاني: المطالبة بديون فرنسا عند طرابلس الغرب :

لم يختلف كثيرا موقف فرنسا في مطالبتها لديونها عند طرابلس الغرب عن إنجلترا فقد أخذ القناصلة الفرنسيين خاصة في عهد القنصل روسو بالمطالبة بديون فرنسا والرعايا الفرنسيين عندهم واستمرت الضغوطات على الحكومة الطرابلسية إلى غاية عقد اتفاقية مع يوسف باشا في عام 1816 والتي جاءت بموجبها جملة من البنود تضمنت تنازلات للطرف الفرنسي[1]

وبسبب ذائقة يوسف باشا المالية تخلف في كثير من الأوقات عن تسديد مستحقات الديون الفرنسية وهذا ما تسبب في ظهور أزمات جديدة بين البلدين.

[1]- أتوري روسو، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911 ، المصدر السابق ص 304.

في هذه الظروف الصعبة ومع إصرار القنصل الفرنسي على البقاء على رأيه بالتعجيل بسداد الديون , راح الباشا يحاول من جديد بكل الوسائل من أجل تجنب دفع ما تبقى من الديون, ومع الضغوطات المستمرة الفرنسية على الباشا من أجل إيجاد حل نهائي للازمة القائمة بين الدولتين , وهنا نشير إلى أن الباشا اختار الرجوع إلى الدبلوماسية كما كان قد فعل من قبل عندما أرسل لجنة تحت سلطة وزارة بيت مال المسلمين , وحسب المعلومات الموجودة في أرشيف وزارة الشؤون الخارجية في باريس فإن هذا الباشا قد استعمل الدبلوماسية محاولا استعطاف الحكومة الفرنسية من أجل مساعدته , لقد قام بمحاولته الأخيرة مع الحكومة عندما أرسل رسالة إلى الوزير الفرنسي للعلاقات الخارجية عبر له فيها أولا عن سعادته بوصول القنصل ألفونسو قبل أن يدخل صلب الموضوع وهو طلب تمديد فترة تسديد الديون.[1]

[1]-fawzi amatrud, les relations franco-tripolitaines a l'epoque de youssef pacha, entre 1795 et 1832, ecole doctorale sciences de l'homme et de la societeniversitéd'orléans , 2013, p540.

الفصل الرابع

V -التدهور الاقتصادي وانهيار الحكم القرمانلي:

المبحث الأول:القناصلة الانجليز والفرنسيين ودورهم في تدهور اقتصاد إيالة طرابلس الغرب

المبحث الثاني: ضعف شخصية يوسف باشا ونهاية الحكم

المبحث الثالث: تنازل يوسف باشا عن الحكم لابنه علي بك

V – التدهور الاقتصادي وانهيار الحكم القرمانلي:

المبحث الأول: القناصلة الانجليز والفرنسيين ودورهم في تدهور اقتصاد إيالة طرابلس الغرب:

اعتمد القرمانليون في تمويل الخزانة بالدرجة الأولى على جباية الضرائب ممن الأهالي، أو تلك التي كانت تفرض على السفن التجارية التي تمر بالموانئ الليبية[1]، ذلك لأن طرابلس تعد بالنسبة إلى أوربا بحكم ما يتمركز بها من خطوط مواصلات تجارية بما كانت تسمى بطرق تجارة القوافل، فضلا عن أنها من أهم الموانئ التي تقع على البحر المتوسط والأقرب إلى أوربا[2]، ففي بداية عهد يوسف باشا (1978 م – 1832م) نعمت البلاد بشيء من الاستقراروالانفتاح الاقتصادي ونشطت العلاقات بين طرابلس والشواطئ الأوربية، نتيجة لاهتمامه بالوضع العمراني وتشييد بعض المباني وترميم بعض الحصون، وتوجيه اهتمامه نحو تحسينوإعادة تنظيم البحرية التي كانت تشكل المورد الرئيس، سواء كانت تلك التي تأتي من الغنائم أو تلك التي تأتي عن طريق اتفاقيات الحماية وعدم الاعتداء، ولكن لم يلبث أن تدهور هذا الوضع[3]، بسبب الضغوط الخارجية وانقطاع الموارد المالية الكبيرة والإتاوات من الغارات البحرية التي أثرت تأثيرا كبيرا في قيام الحكومة القرمانلية بفرض مزيد من الضرائب والرسوم المختلفة على السكان المحليين لتوفير احتياجات ومطالب القصر، واتباع مركزية متشددة في التعاملات الاقتصادية المحلية، مما ألحق ضررا كبيرا بالأوضاع الاقتصادية وأثر في علاقة السلطة بالأهالي الأمر الذي أدى في النهاية إلى قيام حركة واسعة من الرفض الشعبي لاستمرار هذه الأسرة في السلطة[4].

في أواخر حكم يوسف القرمانلي بدأت تتدهور الأحوال الاقتصادية بسبب كثرة الضرائب التي أرهقت الفلاحين، وبداية احتكار الباشا لتجارة الحبوب، وبيع المحاصيل مقدما لتحصيل الديون المترتبة عليه،

1- علي عبد اللطيف أحميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د ت، ص 49.

2- أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المطبعة الفنية الحديثة، د ب، 1971، ص 24.

3- خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، مالطا، 1974م ص140.

4- ياسين شهاب الموصلي، الحياة الاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي 1835-1911م،مركز الجهاد طرابلس، 2006، ص32.

واشتراك أفراد الأسرة في التجارة المعتمدة على الاحتكار[1] مما أدى إلى مشاركتهم في تدني الأوضاع سابقة الذكر، هذا فضلا عن حالة الإسراف والبذخ التي كان عليها يوسف باشا في نهاية فترة حكمه، دون أن يأخذ بعين الاعتبار تدهور الأوضاع الاقتصادية في البلاد، حيث كانت الزراعة والصناعة والتجارة تعاني من حالة الضعف والاضمحلال، ولم تكن واحدة منها بقادرة على أن تفي بحاجيات الباشا المالية الكبيرة[2]، فضلا عن أن قافلة الحجاج الكبرى التي كانت تضم آلافا من الرجال والإبل في طريقها إلى مكة، وتمر من طرابلس منذ عهود طويلة، غيرت طريقها في أواخر حكمه وآثر الحجاج السفر عن طريق البحر، ما عدا بضع مئات من الأشخاص استمروا في اتباع الطريق التقليدي[3].

وفي هذه الظروف كانت السلطة عاجزة أيضا عن تقديم أية تجهيزات للجيش الذي يتكون من الكراغلة*وبعض السكان المحليين، ولم تكن الدولة قادرة على سد حاجات هذا الجيش من المواد الغذائية، فكان على أفراده تدبير مؤونتهم واحتياجاتهم بأنفسهم، وغالبا ماكان على حساب الأهالي الذين يمر الجيش بأراضيهم، الأمر الذي أرهق الأهالي وسبب لهم الضنك[4] وأدى ذلك إلى خلق حالة من عدم الرضى، بل السخط وإعلان العصيان ضد الحكم القائم، فقد شلت الأزمة المالية تفكيره لدرجة لم يعد في وسعه القيام

1- الهادي مصطفى بولقمة- دراسات ليبية ،ط 3، مكتبة فورينا، بنغازي، 1975، ص249.

2- محمد أمحمد الطوير، " زعماء الانتفاضة التي وراء الإطاحة بالأسرة القرمانلية سنة 1835م ، مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد الثاني، السنة الثانية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ص 170.

3- رودولفو ميكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية ، ت طه فوزي، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة،1961م، ص206.

*-الكراغلة- هذه الفئة تنحدر من امتزاج جنود الانكشارية الوافدين من مناطق مختلفة من الإمبراطورية العثمانية ومن نساء محليات عربيات أو الجواري مسيحيات الأصل، وهنالك من يرى أنهم جنود محليون مهمتهم مساندة الدولة في جمع الضرائب وفض المنازعات القبلية مقابل الإعفاء من الضرائب، للمزيد عن هذا الموضوع أنظر - عقيل محمد البربار، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث، منشورات ELGA، مالطة ص 65-69، إسماعيل كمالي، سكان طرابلس الغرب، ترجمة حسن الهادي، منشورات مركز الجهاد، طرابلس، 1997، ص60.

4-كامل علي الويبة، الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب 1842م-1911م، منشورات مركز الجهاد طرابلس،2005م، ص 27-28.

بأي عمل من شأنه إصلاح الحالة الاقتصادية، وتحول من حاكم يدير أمور البلاد إلى حاكم منغمس في ملذاته وشهواته[1].

وبسبب الضغوط الأوربية على يوسف باشا عقد اتفاقية مع فرنسا في عام 1816م، والتي أقر فيها – فضلا عن الاعتذار لفرنسا- التنازل لها بصفة تامة ونهائية بالنسبة له ولمن يخلفه في الحكم عن حق القيام بالهجمات البحرية على السفن التابعة للدول الكبرى، في مقابل أن تتنازل هي الأخرى عن استعمال هذا الحق تجاه السفن التجارية الطرابلسية[2]، وبذلك تحطم اقتصاد طرابلس تقريبا بنهاية الغارات البحرية، وتلا ذلك محاولات تحول التجارة عبر الصحراء نحو الغرب والجنوب إلى موانئ المستعمرات الأوربية على ساحل الأطلسي [3].

وبانقطاع موارد الغارات البحرية، أصبحت الأوضاع المالية في الإيالةتنذر بالكارثة، ولجأ الباشا إلى بعض الإجراءات المالية، فركن إلى الوسيلة العاجلة للخروج من أزماته بتغيير قيمة العملة، فأعلن في مرات عديدة إلغاء العملة المتداولة ليستبدل بها عملة أكثر منها رداءة وأقل قيمة [4] ففي خلال الفترة ما بين 1829-1832م تم تغيير العملة إحدى عشر مرة ، ولما كان يوسف باشا يقوم بعمليات سحب العملة المعدنية بصورة دورية بدأ السكان يقاطعون النقد الجديد، وفي كل مرة كان يهدد بإنزال أشد العقوبات بكل من يرفض قبول القطع الجديدة ذات النسبة النحاسية الكبيرة، فكان التجار المسلمون الذين يرفضون قبول العملة الجديدة يتعرضون لقطع أيديهم أو أرجلهم، أما التجار اليهود فيحكم عليهم بالإعدام، وقد رفض رعايا القنصليات قبولها، بمساندة دولهم فتم إخراجهم من البلاد[5]، وندد قناصل الدول الأوربية في مراسلاتهم

1- الهادي مصطفى بولقمة، المصدر السابق، ص 250.

2- أتورى روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ت خليفة محمد التليسي، ط2،الدار العربية للكتاب، بيروت، 1991م، ص402-403، شارل فيرو ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ت محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط4،1998م، ص 419.

3 - جون رايت ،تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ت عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، مكتبة الفرجاني، طرابلس 1972م،ص99.

4-روسي المصدر السابق، ص 403-404.

5- ن.أ بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ت عماد حاتم،ج1 ، منشورات مركز الجهاد، طرابلس، 1969، ص 239.

بهذا النظام الذي عرقل التجارة وأفقد الثقة بالاقتصاد المحلي[1]، ولكن الأهالي كانوا مرغمين على التعامل بها تحت التهديد بعقوبة الموت[2]، وذكر النائب الأنصاري أن يوسف باشا باع بعض قطع أسطوله الحربي، وسك مدافعها النحاسية نقودا[3]، كما لجأ إلى الاقتراض من بعض الأجانب بفوائد باهظة لم يقدر على سدادها فأخذت بريطانيا وفرنسا- مثلا- تهددان بأساطيلهما لاستخلاص ديون رعاياهما [4]. ولتغطية نفقات البلاط الخاصة عمد باشاوات طرابلس إلى رهن مجوهرات حريمهم ورهن سفنهم الحربية او بيعها في محاولة لتسديد تلك الديون[5].

وتحتم على يوسف باشا في ظل هذا الوضع البحث عن مزيد من النقود، لذا فرض ضريبة على كل شجرة فاكهة أو شجرة زيتون، التي كان يعتمد عليها الأهالي كثيرا، وكان هذا الإجراء سببا لتذمر الأهالي هذا ما أوضحته مظلمة مقدمة عن طريق حسين باي إلى محمد بيت المال بشأن الضريبة التي أخذت من احد الأهالي عن أشجار الزيتون[6]. وكانت السلطات تأخذ –أيضا- ضرائب عن الحيوانات والسمن والزيوت التي تباع في الأسواق[7]، وفرضت ضرائب على المباني المملوكة لأهالي مدينة طرابلس وضواحيها دون الأرياف، وأيضا ضرائب على البساتين والآبار لأهالي المنشية، مع فرض مبلغ من المال عن كل رجل، عرفت بضريبة الصائم أو ضريبة الرأس والتي تأخذ من كل الرجال الذين تعدو مرحلة الطفولة[8].

اضطرت ضائقة يوسف باشا إلى الضغط على اليهود الذين شملهم في أوائل حكمه بكثير من الرعاية، وكانوا أغنى طبقات سكان المدينة، إذ كانت تتركز تجارة البلاد في أيديهم، حيث كانوا يسيطرون على تجارة الجنوب، وبسبب تكدس أموالهم راحوا يفقدون حزمهم فأظهروا ما هم فيه من بذخ ورفاهية، الأمر الذي

1-كوستانزيو برينا، طرابلس، من 1510إلى 1850، ت التليسي ، ط1، دار الفرجاني ، طرابلس 1969، ص 319.
2- أحمد النائب الأنصاري، المصدر السابق، ص332.
3-علي سلطان ، تاريخ العرب الحديث، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية ، طرابلس، ب. ت.ص 436.
4-شارل فيرو، المصدر السابق، 339
5-جون رايت، المصدر السابق، ص100.
6-محمد أمحمد الطوير، زعماء الانتفاضة، المصدر السابق، ص 172.
7-عمر علي بن اسماعيل، المرجع السابق، ص 206-207.
8-حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، الجزء الأول 1551م-1832م،منشورات مركز الجهاد، طرابلس ،1984م، ص404-406.

أثار شعور الأهالي من المسلمين ضدهم، وكان المسلمون رغم كراهيتهم الشديدة لليهود، مضطرين للخضوع لهم لسيطرتهم على الشؤون التجارية، فألزمهم يوسف باشا بتوريد بعض مستلزمات الحياة أو الرفاهية إلى البلاط مثل الشحم والعطور وأدوات الزينة، واتخذ ضدهم إجراءات شديدة، مثل إصدار تعليمات باعتبار جميع العقارات والأملاك التي لا توجد لها عقود مكتوبة من أملاك الدولة، حيث كان معظم اليهود لا يملكون عقودا لعقاراتهم في طرابلس.[1]

لقد شملت الضرائب والرسوم مختلف الأنشطة الاقتصادية، وتم استخدام نظام الالتزام بشكل أشمل من ذي قبل، فشمل هذا النظام الذي ابتكر في أراضي الدولة العثمانية في النشاط الزراعي بوصفه بديلا عن نظام الإقطاع العسكري، وجميع الأنشطة الاقتصادية الأخرى لغرض توفير المداخيل المالية بطريقة مضمونة وسريعة عبر قيام بعض الأثرياء –لا سيما اليهود– بدفع مبالغ مالية للحكومة مقدما لقاء استحصال ضرائب عن أنشطة اقتصادية معينة، مثل الأسواق والحانات وأبواب المدن والجمارك والموازين، وبعض المواد المحتكرة مثل الملح والفحم فضلا عن الضرائب الزراعية[2]. وبسبب ارتفاع الأسعارالناشئ عن التلاعب بالنقد وغشه، لم يتمكن السكان من القيام بمتطلبات الحياة المطلوبة منهم[3]، لذلك كان رد فعل السكان تجاه فرض تلك الضرائب القيام بالعديد من الانتفاضات ضد السلطة[4].

كما حاول يوسف أيضا السيطرة على النشاط التجاري، باحتكار بعض الصادرات والواردات من السلع والبضائع، مثل تجارة الحبوب وبعض الصناعات المحلية وشراء مستلزمات الجيش والبلاط[5]، ومن بين المواد التي احتكرها يوسف باشا الملح، الذي – وإن لم يكن التعامل به مباشرة– باع حق تصديره إلى الشركات الأوربية وتجار في الداخل[6]، كما احتكر الباشا –أيضا– بودرة الصودا التي كانت تنتج محليا، حيث بيع هذا

1–محمد رجب الزايدي، ليبيا في العهد القرمانلي، دار الكتاب الليبي، بنغازي، 1974،ص133–140.

2– ياسين شهاب الموصلي، المصدر السابق، ص33.

3–ميكاكي رودلفو، المصدر السابق، ص 202–203.

4– الفقيه حسن، المصدر السابق، ص509.

5–شارل فيرو المصدر السابق، ص335.

6–عمر علي بن إسماعيل، المصدر السابق، ص231، انظر كذلك الفقيه حسن، اليوميات، ص504.

الاحتكار إلى تجار فرنسيين وبريطانيين[1]، وفضلا عن هاتين المادتين احتكرت السلطات شراء وتصدير الجلود، حيث كان يمنح كالتزام للتجار اليهود مقابل دفع مبالغ سنوية[2]، يضاف إلى ذلك أنواع أخرى من السلع التي كان يمنح حق المتاجرة بها وفق نظام الالتزام إلى من يستطيع دفع أعلى قيمة، فمن بين هذه السلع الصابون والدخان وهي تجارة الرقيق، الذين كانوا يحصلون عليهم بأعداد كبيرة، سواء في شكل ضرائب ترسل إليهم من المناطق الجنوبية لطرابلس أو على شكل غنائم يتحصلون من عمليات الغزو على بلاد السودان الغربي، وكانت هذه السلعة الآدمية تصدر إلى مناطق مختلفة أوربية أو غير أوربية، وقد تباع إلى بعض التجار الأجانب لمقايضة مشترياتهم من السلع الأخرى.

إن سيطرة الأوربيين لم تقتصر على هذا فحسب، بل شملت- أيضا- تجارة طرابلس الخارجية بصورة عامة، وهو ما يبرز بشكل جلي في الاحتكار شبه الكامل على عمليات النقل البحري، من السفن البريطانية والبندقية والفرنسية، ويذكر القنصل الفرنسي أن عائدات فرنسا من عمليات النقل التي تقوم بها السفن الفرنسية فاقت عائداتها من التجارة مع طرابلس[3].

إن تورط السلطات في النشاط الاقتصادي غير الإنساني لم يقتصر في ظهور المعاملات الخاصة بالباشا، ولكنه برز –أيضا- في معاملات بعض كبار رجال الدولة[4]، الذين تاجروا بالعبيد، الذين كانوا يستجلبون من مناطق الجنوب والسودان الغربي[5]، وأيضا شارك أفراد الأسرة الحاكمة في منافسة الأهالي في المعاملات التجارية[6].

1-شارل فيرو، المصدر السابق ص333.

2- الفقيه حسن، المصدر السابق ص377.

3-الهادي بولقمة، المصدر السابق، ص116.

4-بروشين، المصدر السابق ،ص 116.

5- روسي، المصدر السابق، ص404.

6-المصدر نفسه،ص416.

وعلى عكس ما هو متوقع فإن احتكار التجارة من قبل يوسف باشا لم يؤد إلى عدم الانتعاش فحسب، بل أدى إلى كساد التجارة وانحطاطها الشامل في البلاد[1]، وبناء على نصيحة من القنصل الفرنسي الذي أخذ يمارس نفوذا شديدا على يوسف باشا قام بإعداد قانون ينظم الدخول إلى الميناء والإجراءات الجمركية[2]، والذي أسهم في إضعاف التبادل التجاري مع دول الجوار، وازداد الوضع سوءا في هذا القطاع، حيث عهد الباشا بالتزام الجمارك إلى بعض الأسر التي أعادت بيعها بالباطل لليهود، ففي سنة 1830م، اشترى التزام الجمارك وزير البحرية صهر الباشا بمبلغ ستة وثلاثين ألف قرش[3].

وسيطرت السلطات على السوق بتعيين أمين إداري للسوق، للقيام بمهمة الإشراف على السوق التابع له، وحل النزاعات التي قد تنشأ بين أصحاب الحرف أو بينهم وبين الزبائن وفضلا عن القيام بدور الوسيط بين السلطة والطائفة الحرفية التي يرأسها، كانت تعقد سوق عند باب المدينة نحو الشرق تعرف بسوق الثلاثاء في الساحة المعروفة بالاسم نفسه[4]، وأصبحت السلطات تتحكم في السوق من خلال التحكم في موصفات الإنتاج لدى الحرفيين من بينها مثلا، أنه يجب على كل حرفي وصانع مراعاة القواعد الأساسية المتعلقة بصنعة الحرير، حتى لا يتعرض للخطأ فيتعرض للجزاء، ومن بين هذه المواصفات تحديد الأطوال والألوان، ومن يخالف هذه المعايير يعاقب في المرة الأولى ويضاعف له العقاب في المرة الثانية، ويطرد من الصناعة في المرة الثالثة[5]، فمن خلال عملية مراقبة السوق التي شملت كل شيء بدءا من إنشاء وتطوير المراكز التجارية، مرورا بالتنظيمات الخاصة بحركة السوق ووصولا إلى عملية فرض الضرائب وجبايتها، نجحت السلطة في أن تضع حركة السوق التجارية تحت إشرافها ورقابتها، غير أن هذا الأمر كان له انعكاساته المهمة على تجار المدينة، فممارسات السلطة هذه – فضلا عما أفضتإليه من تحكم في بعض أدوات التجار

1-Salaha Elali,in Encyclopédiede islamleiden, Nouvelle Edition, Paris Voi, pp649-651.

2- روسي، المصدر السابق، ص414.

3- Saliha Elali, Op-Cit, pp 649-651.

4- إنعام محمد سالم شرف الدين، مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي 1711-1835، منشورات مركز الجهاد، طرابلس، 1998، ص 34.

5-شارل فيرو، المصدر السابق، ص602-603.

والاطلاع على نشاطهم وأوضاعهم- مكنتها من السيطرة عليهم بما كان يقع في إطارها من انتزاع لأموالهم عن طريق الضرائب، بذلك أسهمت بصورة مباشرة في منع عملية التراكم المالي لديهم، الأمر الذي ساعد على إحجام التجار عن التوسع بنشاطهم التجاري وعرقلة عملية تطورهم[1].

من جهة أخرى خولت السلطات بعض الموظفين سلطات استبدادية في الدواخل، حيث كانت المزارع التي لا يتمكن أصحابها من تسديد الضرائب تحال للبيع بالمزاد العلني، حيث يبتاعها القادر على دفع مبلغ أكبر لها، لذا كان الفلاح غالبا ما يجد نفسه مضطرا إلى هجر أرضه والارتحال بعيدا[2]، ومما زاد من تسلط الموظفين من قبل الحكومة، أنهم كانوا يجبرون الأهالي على إضافتهم ومن معهم، بتقديم رسوم إضافية زيادة على الرسوم الأساسية، لذلك تذمر السكان، فمثلا كان أهالي فزان يتذمرون من سماع قرع الطبول، والذي معناه أن على كل أسرة أن تعد طعاما لجيش السلطان المكلف بجمع الضرائب[3]، فضلا عن ذلك كان موظفو الدولة يقومون بجمع الضرائب لحسابهم الخاص، على أن يتعهدوا بدفع مبالغ سنوية إلى السلطان متفق عليها مسبقا، فعلى سبيل المثال كان موظف الضرائب الخاص بفزان حسين بك يدفع للسلطان سنويا ثلاثين ألف قرش، أي أن الموظف المكلف بجمع الضرائب يأخذ على عاتقه أخذ جمعها التزاما، فيقوم باعتصار السكان اعتصارا من أجل أن يوفر لنفسه فائضا من العملية الجبائية، في الوقت الذي كان ينال فيه راتب عن جباية الضرائب بكونه موظفا لدى الدولة[4].

وقد كان للتجارة أهمية كبيرة في طرابلس في تلك الفترة، لا سيما مع دول أفريقيا الوسطى ذلك قبل عام 1830م، فيقول قنصل السويد بطرابلس جرابرج دي همسو في مقال نشر له "كانت مرزق مركز تجميع لمنتجات دواخل إفريقيا ومنتجات طرابلس وبنغازي ومنتجات أوربية[5]، ولمحاولة يوسف باشا الخروج من الأزمة المالية التي كان يعيشها، حاول السيطرة المباشرة على كل من غدامس وفزان وضمهما إلى طرابلس

1- جون فرانسيس ليون، من طرابلس إلى فزان 1818م ت مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، ليبيا –تونس، 1976م،ص190.
2-شارل فيرو، المصدر السابق، ص413-414.
3-روسي،المصدر السابق، ص414.
4-خليفة محمد التليسي، المصدر السابق، ص137-138.
5- عمر علي بنإسماعيل، المصدر السابق، ص 231.

بهدف الاستفادة من عوائد تجارة القوافل التي كانت تستأثر بها الأسرة الحاكمة في هاتين المنطقتين، بإرسال حملة عسكرية بقيادة ابنه علي واستطاع بالفعل السيطرة على المنطقتين وعين عليهما حاكما من قبله، ولكن حالة عدم الاستقرار والفوضى أدت إلى شل الحركة التجارية بين طرابلس وإفريقيا جنوب الصحراء وأصبح تجار القوافل العائدون من هذه الأقاليم يتوجهون بقوافلهم إلى أسواق الدول المجاورة في مصر وتونس والجزائر، تجنبا لغارات القبائل المتمردة ضد السلطات، وتوقف التبادل التجاري بين الطرفين، فحرمت بذلك طرابلس من أهم مواردها الاقتصادية[1]،كما حرمت طرابلس من مورد اقتصادي آخر وهو مرور قوافل الحجيج إلى الأراضي المقدسة ذهابا وإيابا، وما كان يرافق ذلك من تبادل تجاري واسع وطلب على البضائع الضرورية اللازمة لأغراض السفر التي كان التجار يحضرونها لهذا الهدف، وذلك بإقلاع هؤلاء الحجيج عن السفر بالبر وتحولهم إلى السفر بحرا ربما تجنبا للمشاق أو المخاطر التي كانت ترافق السفر برا[2]، وقد كان وصول هذه القوافل إلى طرابلس من المشاهد المهمة السنوية، كما كانت إقامتها عدة أيام فرصة لنشاط اقتصادي كبير فيحدث تبادل تجاري من المنتجات المحلية بما تحمله هذه القوافل من البن والعقاقير والتوابل وغيرها من منتجات الشرق والغرب[3].

ومن الممارسات التي ألحقت ضررا كبيرا في ايالة طرابلس، لجوء السلطات الحاكمة أثناء التبادل التجاري مع التجار الأجانب إلى إصدار، سندات مالية (التذاكر) يسجل فيها اسم التاجر ونوع البضاعة وقيمتها ويتوجه بها التاجر إلى أحد حكام الأقاليم في الإيالة لتسديد قيمة السند نقدا أو بضائع عينية محلية كالزيوت والسمن والصوف والجلود أو مستوردة كالمعادن والجلود والرقيق والمصنوعات لعدم توفر السيولة المالية لدى السلطات[4]، وكان لمثل هذا النظام فعاليته عندما كان للحياة الاقتصادية في البلاد وضع مرض، ولم يكن حكام المدن يماطلون في دفع القيمة النقدية أو تغطيتها بالمحاصيل الزراعية أو بالمصنوعات اليدوية، ولكن عندما لم تعد التذاكر تعطى في مواعيدها، وكان التأخير الطويل في تغطية الديون، يضطر التجار إلى التوجه

1-بروشين، المصدر السابق، ص239.

2-إنعام محمد شرف الدين، المرجع السابق، ص347.

3-عمر بن علي بن إسماعيل، المرجع السابق، ص233.

4-تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1985م،ص55.

إلى قناصلهم بطلب مساعدتهم لأخذ حقوقهم من دائنيهم، لذا كان يوسف باشا كثيرا ما يضطر لتوقيع اتفاقيات حول تسوية مثل هذه الديون ومؤداها أن الباشا كثيرا ما كان يلزم نفسه بدفع فوائد الديون نظير التأخير عن دفعها في مواعيد استحقاقها[1]، كما نتج عن ذلك إلحاق ضرر بالغ بتجار طرابلس الذين أصبحوا ما بين احتكارات الباشا وديون الأوربيين من حملة سندات الدين العام كالواقعين بين المطرقة والسندان، لذا يعد هذا الأمر المنفذ الذي تمكن من خلاله أصحاب رؤوس الأموال الأجانب تسديد الضربة الأخيرة والقاصمة إلى رأس المال الوطني المنهك بفعل احتكارات الباشا الاقتصادية[2].

وفي ظل هذه الظروف أجبر الأهالي على العمل الجماعي، حيث وجد الفلاحون أنفسهم عاجزين عن القيام بكل هذه المهام وتأدية الرسوم والضرائب، إذا واجهوها بشكل منفرد، وكان لا بد من مواجهتها بصورة جماعية[3]، فيقول شارل عيساوي، الذي كتب عن التاريخ الاقتصادي، "أن الفلاح كان أكثر المخلوقات دفعا للضريبة في زمانه"[4]، وما زاد الأمر سوءا أن الباشا باع امتيازات المناطق الزراعية للتجار الأوربيين مما جعل الفلاح في طرابلس عرضة لإرضاء السماسرة الأجانب من ايطاليين وفرنسيين وبريطانيين.

وشهدت طرابلس عدة مجاعات بسبب المواسم التي ندرت فيها الأمطار وترتب على ذلك اختفاء الأقوات من الأسواق، فأصبحت العديد من الأسر غير قادرة على سد احتياجاتها في وقت لم تقدم السلطات على مد يد المساعدة لإنقاذ هؤلاء، أو تخفيض الضرائب، مما شكل ضغطا على سكان طرابلس، حيث كانت الزراعة المصدر الرئيسي، لكن هذا النشاط كان يعاني من عدة مشاكل أهمها قلة مساحة الأرض الحصبة ثم قلة الأمطار وارتفاع درجة الحرارة في فصل الصيف، مع عدم وجود أنهار في المنطقة[5]، ففي عام 1784م حلت بالبلاد مجاعات بسبب رداءة موسم القمح والشعير لندرة الأمطار، ففر الفلاحون، وتسببت المجاعات

1 -Charles Issawi, The Economic History of the Middle East 1800-1914 Chicago prss, P207.

2-عمر بن إسماعيل، المرجع السابق، ص200.

3-شارل فيرو، المصدر السابق،ص465.

4- الصالحين جبريل الخفيفي، النظام الضريبي في ولاية طرابلس الغرب، 1835-1912م، مركز الجهاد، طرابلس، 2000م، ص24.

5-نفسه، ص25.

في مآسي للناس فهاجر سكان الأرياف إلى مدينة طرابلس، فأقام لهم أهلي المدينة ملجأ، وقد مات منهم أعداد كبيرة،كل هذه المشاكل والصعوبات دفعت بكثير من الفلاحين إلى تفضيل تربية الماشي على الاستقرار في الأرض لخدمتها أو اللجوء إلى الزراعة المؤقتة والرعي المتنقل، لا سيما في فترات عدم الاستقرار وانعدام الأمن.

أما الصناعة فكانت متواضعة لا تتعدى الصناعات المحلية اليدوية المخصصة لتلبية متطلبات الأسواق المحلية في المدن والأرياف من المصنوعات اليدوية مثل :صناعة الأغطية الصوفية والأدوات الجلدية والحدادة وصنع الأسلحة وغيرها، لكن هذه الصناعات عانت عدة مشاكل شكلت لها معوقات إنتاجية أسهمت في تدنيها كما ونوعا، أهمها الضرائب الثقيلة التي فرضت على العاملين، ثم منافسة الصناعات الأوربية لها، بسبب فتح الاستيراد الخارجي، كل ذلك أدى إلى عجز السلطات عن تطوير صناعة حقيقية حتى في مجال المنسوجات والمواد الغذائية، وبناء السفن رغم توفر المواد الأولية، والأيادي العاملة ذات الخبرة في هذا المجال،حيث كانت المواد الأساسية تصدر دون تصنيعها في طرابلس عن طريق البحر إلى أوربا، مثل الأصواف والجلود والزيوت والقمح والشعير والشمع والعسل والتمور والزعفران والإسفنج والملح.

إن التدهور قد أصاب مختلف القطاعات الاقتصادية، بالرغم من تنوع الدخول التي يتحصل عليها حكام طرابلس، فقد حصروا مصروفاتهم في وجهين أساسين من أوجه الإنفاق، تمثل الأول في تغطية مصروفات الأسرة الحاكمة ومتطلبات القصر، في حين تمثل الوجه الثاني في مصروفات الجيش والأسطول والجهاز الإداري، فلم يهتموا بالثروة الحيوانية ولا بتطوير أساليب الزراعة ولا بتشجيع الصناعات المحلية، والتي كان من الممكن أن تسهم في الانتعاش الاقتصادي للبلاد.[1]

هكذا كانت الأوضاع الاقتصادية المتردية في طرابلس في هذه الفترة محركا للأوضاع الأخرى، فقد كان المصدر الوحيد لدخل الولاة هو الضرائب، التي شكلت عبئا كبيرا على الأهالي، من خلال ما كان يفرضه الولاة من ضرائب، وممارسات المكلفين بجمعها، الأمر الذي أدى إلى استنزاف قدرات الأهالي

[1]- الصالحين جبريل الخفيفي، نفس المرجع ، ص 26.

الاقتصادية، فأصبحت غالبية السكان في حالة الفقر والبؤس، لم تتح لهم الفرصة لتطوير أنفسهم في مختلف الجوانب الاجتماعية والثقافية، وما التمردات والانتفاضات التي قام بها هؤلاء بقيادة الزعماء المحليين، إلا ردود أفعال على سياسات ولاة طرابلس الضريبية الغاشمة.

المبحث الثاني: ضعف شخصية يوسف باشا و نهاية الحكم:

وما لبث يوسف باشا إلا ان باءت كل محاولاته بالفشل الذريع في محاولته للخروج من الأزمة المالية الخانقة ولم يبقى له سوى انه يلجأ إلى الاستدانة من التجار الأجانب[1]، فصار يستدين منهم بفوائد باهضة لا يستطيع عليها لكنه نظرا للحالة الواقع فيها وحاجته الملحة للمال فلم يكن يهتم لهاته الفوائد مع العلم انه كان يستدين لإشباع شهواته وملذاته ، ثم يستدين لسداد ما عليه من ديون، وعند عجزه عن دفع تلك الديون اخذ في التماطل مما جعل أصحاب هاته الديون يلجؤون إلى قناصلتهم لإجباره على الدفع.

واستغل القناصلة الفرصة للضغط عليه وإخضاعه لرغباتهم ومشيئتهم ، ومن بين هؤلاء القناصلة تنافسا للسيطرة على الباشا هما القنصلان الانجليزي وارنجتون والفرنسي روسو[2].(أنظر الملحق رقم 06)

ومما لفت النظر في هذه المناسبة هو ان نجد المؤرخ احمد النائب ومحمد بهيج بن مصطفى عاشر يذكران السبب في مغادرة القنصل الفرنسي هو نتيجة لخلافه مع الباشا وفي الأخير كان قدوم الأسطولالفرنسي للإيالة الطرابلسية سنة 1830 بقيادة روزاميل بعد تدخله لمطالبة الباشا بدفع الديون التي عليهلرعاياه[3].

[1]- [1] – أحمد بك النائب الأنصاري ، المصدر السابق ، ص 348.

[2] – المصدر السابق ، ص 349.

3- نفسه ، ص ص 349-350 .

وبالنظر لما يقوله بعض المؤرخون الأوربيين مثل كستانزو بيرنا وميكاكي ، فنجد أن السبب في مغادرة روسو وقدوم روزاميل لم يكن هو نفس السبب الذي ذكره احمد النائب ، حيث نجدهما يرجعان ذلك إلى اتهام روسو بتدبير اغتيال الرحالة الانجليزي غوردون لينج[1].

ويتفق هذان المؤرخان على ان الرحالة كان قد وصل إلى طرابلس في مايو 1825 للقيام برحلة استكشافية لبقية بلاد السودان الغربي حتى تمبكتو ، وبعد وصوله إلى طرابلس تزوج ابنة وارنجتون ، ثم بعد زواجه مباشرة في 16 اغسطس1825 بدأ القيام برحلته التي شاء فيها القدر ان يلقى حتفه خلالها واتهم روسو بالاشتراك في اغتياله.

ويلاحظ ان المؤرخين قد اختلفا في تحديدمصدر اتهام روسو بالاشتراك في الجريمة أو بتعبير أوضح من الذي اتهم روسو بالجريمة هل هو وارنجتون أم الباشا ؟

ويتضح لنا اختلاف المؤرخين في تحديد هوية من اتهم روسو بالاشتراك في الجريمة سواء كان الباشا أو وارنجتون ومن خلال النصين نلاحظ ان ميكاكي يرجح ان وارنجتون هو من اتهم روسو بالاشتراك في الجريمة وان الباشا لا دخل له في القضية إلاأخيرا وبالتحديد سنة 1829 وان سفر روسو لم يكن نتيجة لتصريح أصدره الباشا وإنما كان نتيجة لتصريح أدلى به محمد الدغيس .

غير انه في الوقت الذي يؤكد فيه ميكاكي هذه الحقائق نجد أن الأخر وهو كستانزو بيرنا يؤكد ان الباشا هو أول من اتهم روسو بالاشتراك في قتل لينج ، وكما عاد ميكاكي وقال أن إقحام الباشا لنفسه في هذه القضية كان منذ بدايتها لا في آخر مراحلها كما يفهم من كلام ميكاكي سابقا.

1-ميكاكي ، طرابلس المرجع السابق، ص 213.

المبحث الثالث: تخلى يوسف باشا عن الحكم لابنه وولي عهده علي بك:

وبعد أن يئس يوسف باشا من وضع حد لهذه الفتنة بكل الوسائل، ومنها التصدي بالقوة العسكرية المؤيدة له، ونزولا على طلب رجاله وأعوانه الذين قدموه إليه بصفة رسمية للتخلي عن الحكم لابنه علي بك بصفته ولي العهد، فقد اضطر الباشا إلى الرضوخ للأمر الواقع.

وفي يوم 12 أوت 1832، جرت احتفالات رسمية، أعلن فيها يوسف باشا تنازله عن الحكم لصالح ابنه علي بك، وحضر هذا الاجتماع جميع المشايخ والأعيان والعلماء وكبار الموظفين في الإيالة.

وأمام الجميع وفي صوت بالغ التأثر، أعلن يوسف باشا تنازله عن الحكم إلى ابنه وولي عهده علي بك، ونطق بذلك في عبارته القصيرة التالية: ((..... لقد دعوتكم لأقول لكم إني تعب، وأريد أن أنهي أيامي في راحة وأعين بكامل رغبتي علي بك ليخلفني في إمارة الولاية، كما أعين إبراهيم بك كخليفة له والسلام)).[1]

وتبع ذلك تلاوة يمين المبايعة لعلي باشا الذي تلاه يوسف باشا، وتلاه جميع الحاضرين.[2]

وفي اليوم التالي بعث يوسف باشا برسالة إلى الملك الانجليزي وليم الرابع بتاريخ 15 من ربيع الأول سنة 1248 هـ الموافق 13 من أغسطس سنة 1832م يبلغه فيها بتنازله عن الحكم لابنه علي بك، وطمأنه إلى أنه سيكون خير سلف له ولن يتأخر عن بذل جهوده ومساعيه لتدعيم أواصر المحبة بين البلدين، وخاصة ما يتعلق بسداد الديون المطلوبة من إيالة طرابلس ونورد منها الفقرة التالية:

((... ورأينا صلاحا أن نولي مكاننا بطيب نفس منا، واختيارا من أهل إيالتنا باستحقاق نجلنا الأسعد سيدي علي، وهو من اليوم خليفتنا ومتصرف بتصرفنا وفوضنا لم أتم تفويض وأعمه فأردنا أن نعلمكم بذلك، ولا يطرفنا شك بأن سيدي علي باشا يقوم بهذه المنزلة وتأسيس المحبة بين الدولتين، كما كانت وزيادة، وتتميم جميع الشروط المنعقدة بيننا وبفعل جميع جهده، ويسعى بما أمكنه في الضغط على ذلك.

1-إسماعيل كمالي، المرجعالسابق ، ص90.

2- نفسه ، ص 91.

ولتأكيد ذلك ففي يوم 25 من نفس الشهر بعث علي باشا الحاكم الجديد لإيالة طرابلس الغرب برسالتين، أحدهما إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون والثانية إلى الملك الإنجليزي وليم الرابع، يعلن فيهما التزامه بالسير على النهج الذي اتبعه من قبل والده يوسف باشا، وأبلغكما كذلك أنه لا يقل حرصا على تدعيم العلاقات الإنجليزية الطرابلسية[1].

نستنتج من هذا الفصل أن مركز يوسف باشا في الحكم قد تزعزع عقب إعلان سيف النظر التمرد ضده في منطقة ورفلة وبني وليد، ثم اتساع نطاق هذا التمرد حتى شمل منطقة فزان التي كانت تعتبر مصدرا هاما لموارد الباشا وخاصة من تجارة القوافل مع وسط إفريقيا، ولم تنجح محاولات التوسط لإنهاء هذا النزاع الذي تدخل فيه وارنجتون.[2]

وهذا الأمر قد أضعفكثيرا من موقف يوسف باشا تجاه التطورات اللاحقة على علاقات حكومته مع الحكومة الانجليزية، وكانت الحكومة الإنجليزية قد أثارت هذا الوقت مسألة سداد الديون الإنجليزية المطلوبة على إيالة طرابلس، وأظهر وارنجتون استيائه لاعتزام الحكومة الطرابلسية إعطاء أولوية في السداد للحكومة الفرنسية، وقد لجأ وارنجتون إلى محاولات الضغط والإرهاب على الباشا لدفعة إلى سداد الديون الإنجليزية في أقرب وقت.

ولقد استخدم وارنجتون في هذا الشأن بعض السفن الحربية من الأسطول الانجليزي في البحر الأبيض المتوسط المتمركز في جزيرة مالطا، ووجه إنذارا بضرورة سداد هذه الديون خلال الثماني والأربعين ساعة حتى لا تضطر الحكومة الانجليزية إلى اتخاذ إجراءات أخرى تراها مناسبة لضمان حقوقها في هذه الديون المتراكمة.

وطبيعي أن يعجز يوسف باشا عن جمع الأموال المطلوبة خلال تلك الفترة القصيرة، حتى إنه عرض للبيع منقولات قصره ومجوهرات حريمه وغير ذلك، فاضطر وارنجتون إلى إنزال علم بلاده إيذانا منه بقطع العلاقات الانجليزية مع طرابلس، وفوض القنصل الايرلندي في رعاية المصالح الانجليزية بالإيالة.

1-إسماعيل كمالي، المصدر السابق، ص92.

2- نفسه ، ص 93.

وقد تأثر الباشا بتدهور العلاقات إلى هذا الحد، واجتمع بديوانه وقرر إيفاد ابنه وولي العهد إلى وارنجتون للتفاوض معه وإعادة العلم الانجليزي لمكانه وطلب يوسف أيضا في نفس الوقت من القنصل الايرلندي التوسط لدى وارنجتون و الاعتذار له عن التأخير في سداد الديون لظروف ليست خافيه عليه.

وكانت الطامة الكبرى عندما أصدر يوسف باشا قرارا بفرض ضريبة على جميع السكان بما فيهم قول أغلية الساحل والمنشية الذين كانوا في السابق معفيين من جميع الضرائب نظير تقديم خدماتهم الخاصة للباشا، فتأثروا بدورهم وأعلنوا العصيان وأصدروا قرارا في اجتماع عام بخلع يوسف ومبايعة حفيده محمد بك، مما اضطر يوسف باشا إلى قبول الأمر الواقع وخاصة بعد فشل محاولاته لإخماد هذه الفتنة وترضيتهم بما فيه ذلك إعلان الرجوع عن قراره السابق بمطالبتهم بالضريبة التي ألزمهم بها وكانت مصدر هذا الشغب.[1]

وأخيرا نزل يوسف باشا على رأي مستشاريه وأعضاء ديوانه وأعلن عن تخليه عن السلطة لابنه وولي عهده علي بك.

وعقب ذلك بعث يوسف باشا برسالة إلى الملك الإنجليزي وليم الرابع يخبره فيها بالتطورات الأخيرة ويؤكد له أن ابنه الحاكم الجديد سوف يستمر على نهجه السابق في الحرص على استمرار العلاقات الوطيدة مع الحكومة الانجليزية، كما طمأنه في هذه الرسالة إلى عزمه على سداد الديون الإنجليزية في أقرب فرصة حسب الاتصالات التي تمت في هذا الشأن.

خلاصة الفصل :

يتضح مما تقدم أن العلاقات الانجليزية الطرابلسية في عهد يوسف باشا القرمانلي كانت في مجملها ودية رغم فترات التوتر التي تخللتها والتي فرضتها أسباب استراتيجيها اقتضاها الموقف الدولي أو ثنائية مصلحية اختلف البلدان في تقديرها، بل وأحينا فردية محضة تناقض فيها الموقف الرسمي الذي تفرضه الوظيفة والموقف الشخصي العاطفي الذي يحكم المسؤول ويوجه علاقاته الإنسانية.

وقد أثبتت الدراسة حرص الجانبين على محاولة الرجوع بالعلاقات إلى مسارها الطبيعي الطيب كلما خرجت عنه، وتوجيهها توجيها صحيحا، ملتزمين في ذلك جانب المرونة والتساهل في محاولة جادة من كل جانب لمراعاة مصلحته ووضعها فوق كل اعتبار.

[1]- إسماعيل كمالي، المصدر السابق، ص95.

وهنا يجب التنبيه إلى أن تلك المصالح كانت ثابتة ومحددة، وبذلك فإنها حكمت مسار تلك العلاقات عبر حقبة تاريخية طويلة تمتد جذورها في عصور سابقة لم تكن سنة 1658م تاريخ إنشاء أول قنصلية – بطبيعة الحال – بداية لها، كما حكمتها سلسلة من المعاهدات عبر تلك العصور ليست أولها –ولكن قد تكون أهمها- اتفاقية 6 أبريل سنة 1699 والتي تم تجديدها في سنوات متعاقبة حتى سنة 1730م ثم اتفاقية سنة 1751م، والتي جددت في مراحل لاحقة كما رأينا، ومن ثم نرى أن ما كان يشير إليه يوسف باشا وملك إنجلترا في مراسلاتهما عن العلاقات الطيبة الموروثة (علاقات الأجداد) لم تكن مجرد عبارات مجاملة اقتضتها مواقف دبلوماسية.

فهناك قناعة بين ثابتة الطرفين – يوسف باشا والحكومة الانجليزية– بأن هناك مصالح معينة ومحددة لكل منهما تقتضي المحافظة على العلاقات الطيبة لضمان استمراريتها واكتساب فوائدها.

الخاتمة

خاتمـــــة :

يتضح مما تقدم ان العلاقات الطرابلسية مع انجلترا وفرنسا في عهد يوسف باشا القرمانلي كانت في مجملها ودية رغم فترات التوتر والخلاف التي فرضتها مصالح الدول الاستعمارية بل وأحيانا المصالح الفردية المتمثلة في شخصيات القناصلة الانجليزيين والفرنسيين الذين كثيرا ما قاموا بإدخال موقفهم الشخصي العاطفي في العلاقة مع ايالة طرابلس الغرب وقد أثبتت الدراسة إلى حرص الجانبين على محاولة الرجوع بالعلاقة الدبلوماسية إلى وضعها ومسارها السليم الودي ملتزمين في ذلك جانب المرونة والتساهل مع الباشا مراعاة لمصلحتهما ووضعها فوق كل اعتبار.

وتخللت هاته العلاقة الودية بين طرابلس وفرنسا وانجلترا عدة معاهدات شملت جل بنودها الاحترام المتبادل والتعاون المشترك بينهما ، ولم تلبث هذه العلاقة طويلا إلى أن أصابها بعض الفتور والخلاف خاصة بعد التعاون الذي كان قائما بين فرنسا وطرابلس أثناء غزوات (نابليون بونابرت) وتوقف العلاقة مع انجلترا لذا عملت الحكومة البريطانية على تعيين القنصل وارنجتون سنة 1814 لإعادة العلاقات الطيبة بين البلدين إلى مصيرها الطبيعي و الاستفادة من قوة شخصيته التي عرف بها عند الانجليز.

وهنا كانت مرحلة جديدة من التعاون والمودة خاصة بعد ان نجح القنصل الانجليزي في الحصول على رضا وثقة الباشا وأعضاء حكومته وقد شهدت هذه الفترة تقاربا في العلاقات الانجليزية الطرابلسية خاصة بعد التسهيلات والمساعدات التي قدمها يوسف باشا للرحالة الانجليز لمواصلة رحلاتهم الاستكشافية إلى إفريقيا ولكن سرعان ما توترت العلاقات من جديد بينهما بعد اغتيال الرحالة لانج واتهام وارنجتون وزير خارجية يوسف باشا حسونة الدغيس بمؤامرة الاغتيال أما بالنسبة للعلاقات الفرنسية الطرابلسية فلم تختلف كثيرا عن

سابقتها الانجليزية كثيرا من التوترات والخلافات مع يوسف باشا وحكومته خاصة حول مسألة الديون التي طالب بها القنصل الفرنسي الحكومة الطرابلسية .

ومما زاد في التوتر طلب يوسف باشا في الكثير من الأوقات بتغيير قنصلها روسو الذي لم يبدي أي تعاون معه بالإضافة إلى الثورات الداخلية التي كان للقناصلة الفرنسيين والانجليز دورا فيها وأهمها قيام ثورة (عبد الجليل سيف النصر) والتي زعزعت مركز الباشا وحكومته وفي هذه الأثناء كذلك أثارت الحكومة الانجليزية مسألة سداد ديونها المستحقة على الإيالة واظهر وارنجتون استياءه بقرار الحكومة الطرابلسية إعطاء الأولوية في سداد الديون الفرنسية .

بالإضافة إلى قيام فتنة قول أغلية الساحل والمنشية وذلك بسبب فرض ضريبة عليهم مع بقية السكان في محاولة جمع الأموال اللازمة لسداد الديون المطلوبة من الحكومة الطرابلسية .

وهنا اشتد الضغط على يوسف باشا القرمانلي وحكومته نتيجة للظروف الداخلية والخارجية المحيطة به مما فسح المجال أمام فرنسا وانجلترا للتنافس حول الإيالة وخيراتها والذي كان له اثر في اشتداد الصراع بين انجلترا وفرنسا وذلك من خلال العمل على توقيع الكثير من المعاهدات والاتفاقيات التي تضمن اكبر قدر من الامتيازات لهما في الإيالة لهم ، و لم يفوتوا الفرصة في تحقيق أطماعهم الاستعمارية التي طالما ارادو تحقيقها في طرابلس الغرب ، و السيطرة على الواجهة البحرية الشمالية للايالات العثمانية في إفريقيا ، و منها إلى بلدان إفريقيا الوسطى

وهنا بعد ان يئس يوسف باشا من حل هذه المشاكل والتصدي لها قرر في 12 أوت 1832 التخلي رسميا عن الحكم والتنازل عنه لابنه علي بك وهكذا نجد ان المحافظة على العلاقات الدبلوماسية بين يوسف

باشا والحكومة الانجليزية والفرنسية كانت تمليها مصالح معينة ومحددة تخص كل الأطراف بالإضافة إلى الوضع السياسي الداخلي والتوترات المختلفة إلى جانب الظروف الدولية العامة المحيطة بالإيالة .

الـمـلاحـــــــــق

الملحق ر قم01: خريطة توضح الموقع الجغرافي لطرابلس الغرب[1]

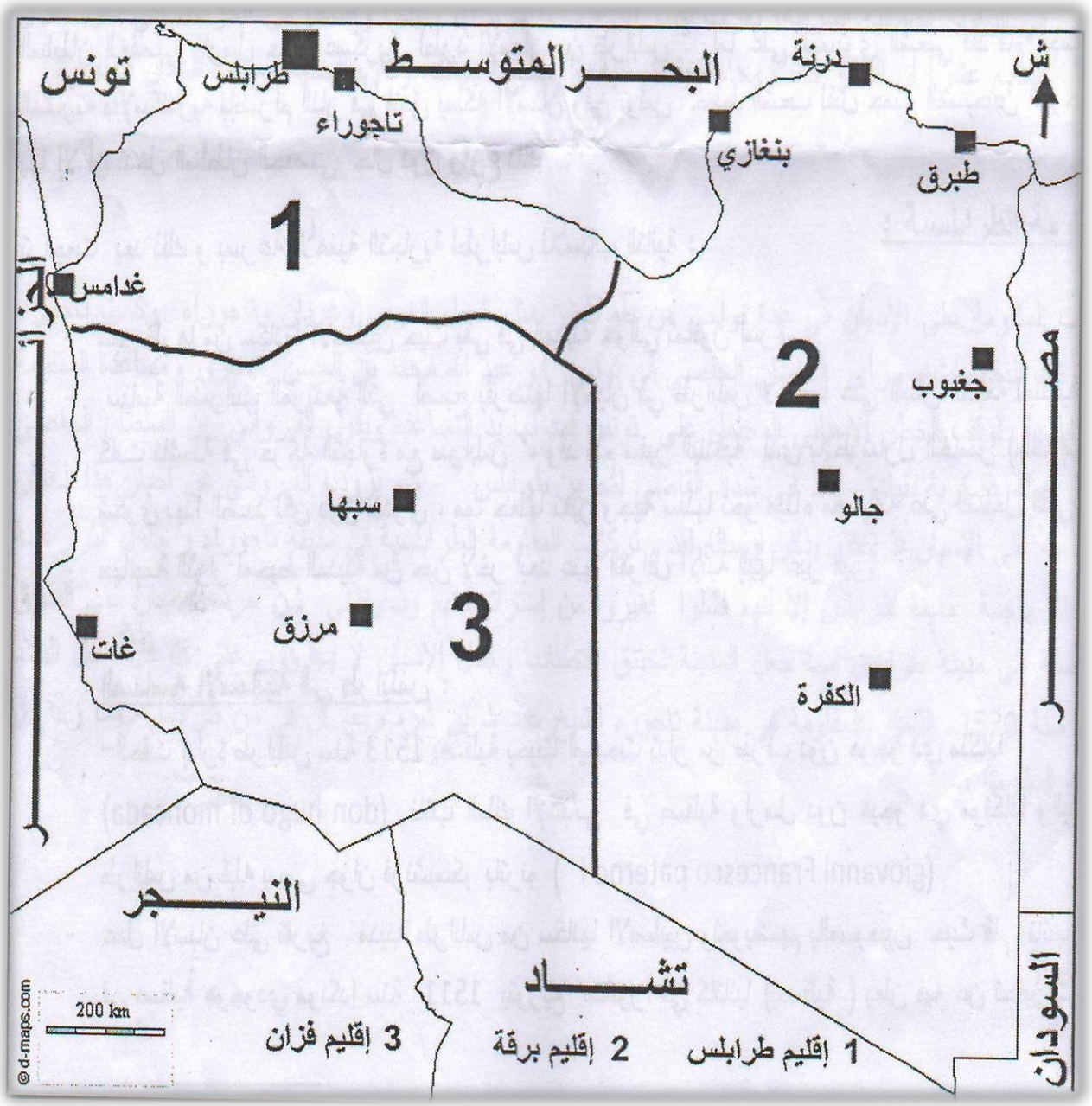

[1] المصدر: جفال عمر ، دور هيئة الأمم المتحدة في استقلال ليبيا ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر 2012 ، ص 180

الملحق رقم02: خريطة توضح أهمية موقع طرابلس الغرب بالنسبة لدول حوض المتوسط[1]

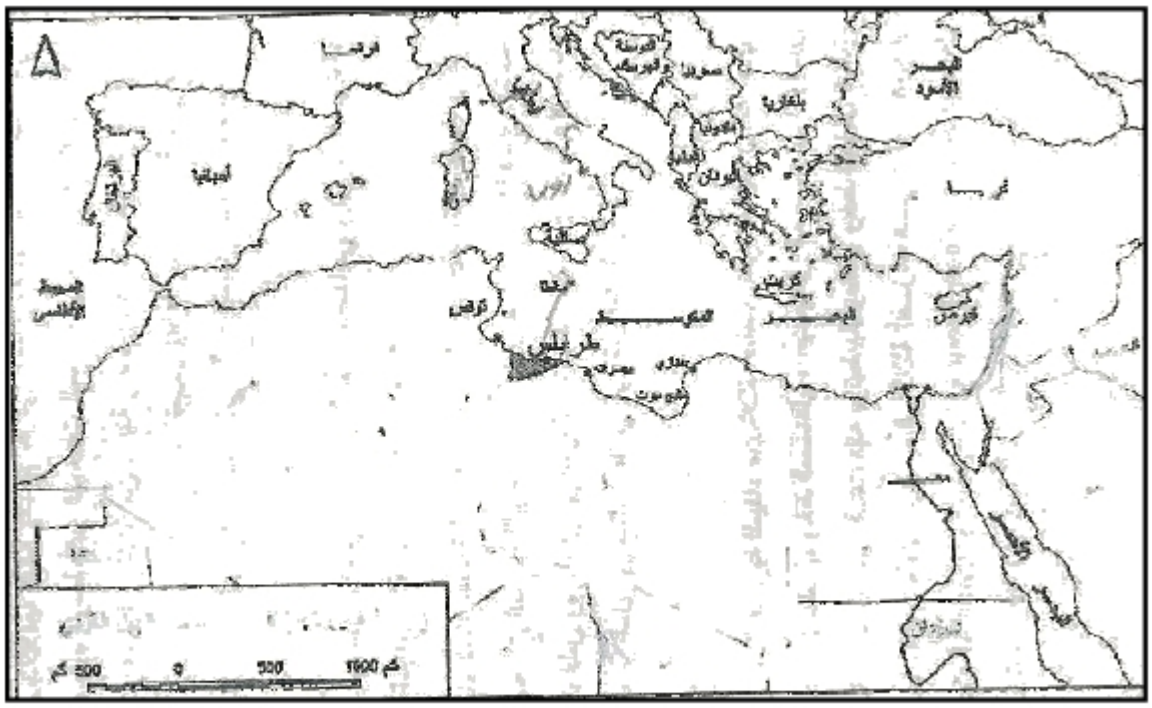

الخريطة تـــوضح أهمية موقع طرابس الغرب بالنسبة لدول حوض

[1] أمحمد سالم السعيد الطويل، العلاقات السياسية والتجارية بين ليبيا ودول غرب أوربا المتوسطية، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2008، ص 489.

الملحق رقم: 03 رسالة يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الانجليزي جورج الثالث[1]

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى الملك الإنجليزي جورج الثالث يبلغه فيها عن كثرة تدخلات القنصل الإنجليزي وارنجتون في الشؤون الداخلية للإيالة ويطلب منه إيقافه عن مثل هذه الأعمال بتاريخ 5 من رجب سنة 1233 هـ (1818 م) [1] .

الحمد للواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الشريك والغر والند والصاحبة والولد .

من عبد ربه أمير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين عبده يوسف باشا بن علي باشا بن محمد باشا بن أحمد باشا قرمانلي صاحب ولاية طرابلس الغرب حماه المولى من كل شدة وكرب أمين بعد السلام والآلي الجسام والإجلال والإكرام والترفيع والإفخام والتعظيم اللايق بالمقام فالذي ينهى إلى رئيس المملكة البهية وعظيم الجماهير الإنقليزية صاحب الرأي السديد والنظر البعيد من له في كل الأمور بعقله تدبير وتمييز محب جنابنا كبير جميع الرايات الري جورجو الثالث بالإنقليز سدد المولى أحواله ونعم باله بعد تثمين أغصان الوداد وتأسيس فروع المحبة الموروثة عن الآباء والأجداد وصفاء الطوية وحسن النية لم تبرح العزايم على تأكيدها ساعية تعرض على مسامعكم الوايعة هو أنه لا يخفى على علمكم وذكى بهمتكم ما نحن عليه من محبتكم من سالف الزمان ولم نزالوا نتوارثوا فيها خلفاً عن سلف وإلى الآن بحيث أنه إيمالتكم عندنا جنس من الأجناس ويشهد لذلك جميع الناس كما نرجوا منكم أن تكونوا على هذا المنوال وأن يكون عقد المحبة بيننا دايم الاتصال ثم أن السبب الداعي لتسطير هذا الجواب وتحرير المقالة فيه والخطاب هو أن مرادنا في أعلامكم على قنصلكم المقيم عندنا الآن المسمى يرنقطن ونبينوا لك جميع ما صدر منه في جنابنا على

[1] عبد الله خليفة الخباط، العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا 1795-1832م، ط1،المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1985، ص ص 277- 278.

الملحق رقم 04: رسالة يوسف باشا القرمانلي إلى وارنجتون حول الاتفاقية الفرنسية الطرابلسية[1]

رسالة يوسف باشا إلى القنصل الإنجليزي وارنجتون حول آحتجاج وارنجتون على الإتفاقية الطرابلسية الفرنسية وكذلك عن سوء تصرفات بعض التجار الإنجليز في عمليات البيع والشراء بتاريخ 7 من رجب سنة 1247 هـ (1831 م) (1) .

الحمد لمستحقه . .

حضرت محب جنابنا والمبجل عندنا من أحبابنا والعزيز علينا من أصحابنا المحب المخلص قنصل جنرال الإنقليز السلام اللايق بجناب والمخصوص بمن سلك من الأحباب وبعد قبلنا الورقة أمتاعك المؤرخة تسعة في دجنبر الذي أنت درت علينا فرتيستوا على الأربعة عشر شرطاً الذي درنا مع محبنا الفرانسيس نحن يا محبنا هذه الشروط لا حملناهم عليكم ولا على ناسكم ونعرف الطراطاتوا الذي حملنا مع القوبرنوا أمتاعكم دايماً إن شاء الله نزيدوا في الصحبة ما تنقصوا وتقعدوا كيف الناس الآخرين وأزيد وكيف تشبح الشيء الذي نديروه للناس الأخرى وأنت ينقص عليك شيء منا يبقى الحق معك إذا تكلمت لكن هذا شي لا يطير ولا نديروه والفصلية متاع القرمانلية دايمة هي والإنقليز في المحبة وتزيد ما تنقص وأنت يا محبنا ديمه تحكموا الشيء الذي ينقص علينا وينظر بنا ما تديروه ونحن ما نقدروا آنتركوا اللزمات القديمات الذي عندنا نعد والأحمى الخمر من غير لزمه أنا من أين نخلص مصروف وجميع لوازمه غير من المدخول وغيره أما الشيء الذي نديروه للناس الأخرى دايماً ناسك تقدروا المدخول بزيادة وإن شاء الله المحبة بيننا وبين القويرنوا أمتاعك دايماً في الزيادة وكنا تكلمنا معك على شأن الموازين والكيل والأسعار متاع ناسك وغيرهم أصحاب الدكاكين وفي الأسواق الذي دائماً يفسدوا في المعاملة والبيع وطلبنا منك المودة والحق الذين يبيعوا ويشتروا كيف ناس البلاد بسعر واحد وميزان واحد لأجل ما توقع الدوه والشكايات والهرج بين الناس ونحن نبغوا الحق على جميع الناس بالسواء كيف مسلم كيف نصراني كيف يهودي وأنتم لحقكم الشك ولدنا الأمير اجعلوا معه رجلاً من طرفكم من القنصلية يشاهد معه جميع الأمور والذي ما يبغي يرضى بالحق أغلق له دكانه . . . مما يليق وهذا شيء يصلح لجميع ناسك وناسنا والحق يحبه وأنت نعرفوك ما ترضى إلا بالحق ولا تجري إلا في صلاح الناس وتقدر تعرف أني نحبك ونقدرك ونفوضك على جميع الأحباب والأصحاب وما تبان لك من حاجة عندي ما لي زيادة وترد لنا الجواب عاجلاً وقد تركنا لكم عشرين بتيه شراب الذين قدر ماية وأربعين برميل وتركنا لكم لزمتهم محبة فيكم وتودد إليكم ولكون ناسينونكم كبير بالنسبة لغيركم ولا نعلموا لغيركم هكذا ولا نسرحوا هذا القدر ولا نتركوه إلا لمن عنده ناسيون يزيد عن الألف وأخبرنا عن السودتو الذي كتب عندكم ودخل تحت البندير الإنقليزية من مسلمين ويهود إنك لا تمنعهم وزادتنا بكم محبة وقرباً وأعاننا على مكافأتكم بالخير وحتى أنا نراعيهم ونقدرهم لأجلكم لكونهم تقربوا بالنديرة وبكم ولا يعطوا إلا المعلوم الجاري عليهم من قديم الزمان من غير زيادة ولا نقصان والسلام بتاريخ 7 من رجب سنة 1247 هـ .

المدعى بربه عبده يوسف باشا قرمانلي
وفقـــه مـــولاه

[1] عبد الله خليفة الخباط، العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا 1795-1832م، المصدر السابق، ص ص 305-306.

الملحق رقم: 05 رسالة من يوسف القرمانلي الى القنصل الانجليزي[1]

رسالة من يوسف باشا القرمانلي إلى القنصل الإنجليزي حول الصلح مع عبد الجليل بن سيف النصر وهي بتاريخ 13 من رجب سنة 1247 هـ [1] (1831 م) .

الحمد لمن له الحمد وإليه يرجع الأمر من قبل ومن بعد .

إلى محب جنابنا والمبجل من أحبابنا قنصل لنقليز بعد السلام التام اللايق بذلك المقام وبعد في السابق تكلمت في الصلح على الشيخ عبد الجليل بن سيف النصر ولا جاش وقته والآن صار بيننا وبينه الصلح وأنت إذا تبع تبعت وتحييه وإلا تحسها بنفسك أنا نعطيك الكلمة لك وعلى لسان القويرنوا أمتاعك إننا نعطوه الأمان هو والقبيلية أمتاعه ورزقه وملك ونقدروه على خاطرك ونخدموه ولا عندنا عليه ازيادة وإذا كان ما يبغ اجي على هذه الحالة هذا شي ما نرضى به ولا يصلح بنا ولا بالعمالة وأنتم الذين ما يصلح بنا ولا بالعمالة ما ترضى وخلي بينا وبينه وأنت ما يوجعك خاطرك وزايد الكلام الذي يخبرك به المركانت زراليوا بنفسه والتمام في 13 من رجب سنة 1347 هـ .

المدع بالله عبده
يوسف باشا قرمانلي
أيده الله آمين

ملحق خير وكيف عبد الجليل ابج على يديك إلينا الشي الذي نعملوه انا واياه على يديك ولا يرضيني ولا ابج على مراده وينبغي اولا لموضعه الذي كان فيه انا عطيتك الكلمة انوده إلى مكانه ولا يخاف من شي إلى أن يوصل لموضعه الذي كان فيه وهذا طالع من تحت البرتسيون والتمام بتاريخ امامه .

[1] عبد الله خليفة الخباط، العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا 1795-1832م، المصدر السابق، ص 316.

الملحق رقم: 06 قائمة قناصل فرنسا بطرابلس الغرب من بداية القرن السابع عشر إلى 1830م[1]

قائمة بقناصل فرنسا بطرابلس من بداية القرن السابع عشر وحتى 1830م.

السنة	قائمة بأسماء قناصل فرنسا في طرابلس
١٦٣٠	Du Molin , Cosul
١٦٤٠	Bayon , gerant le Consulat
١٦٥٠	Estienne , gerant le Consulat
١٦٨٠	De La Magdelaine , Consul
١٦٨٥	Lemaire (Claude) consul
١٦٩٢	Lemaire (Louis) Consul
١٦٩٣	Le p. Racine , gerant Le Consulat
١٦٩٤	De Le Lande , Consul
١٧٠٠	Delane. Consul
١٧٠٣	Lemaire (Claude). Consul
١٧٠٨	Poulard. Consul
١٧١١	Expilly. Consul
١٧٢٣	Martin. Consul
١٧٢٩	de Raimondis. Consul
١٧٤٠	de Montgrand. Consul
١٧٤١	Gautier. Consul
١٧٤٥	de Gardan. gerant le Consulat
١٧٤٦	Caullet. Consul
١٧٥٦	de Gardane. Consul
١٧٦٣	Pinatel. gerant le Consul
١٧٦٥	de Lancey. Consul
١٧٧٥	Benezet Armeny. Consul
١٧٧٦	Du Rocher. Consul
١٧٧٩	d´ Esparron. gerant
١٧٨٠	d´ Andre. Consul general
١٧٨٦	Valliere. gerant
١٧٨٨	Pellegrin Consul
١٧٩٣	Guys. Consul general
١٧٩٨	Beaussier.Consul general
١٨١٤	Delaporte. gerant
١٨١٥	Mure. Consul general
١٨٢٤	Vattier de Bourville. gerant
١٨٢٥	Rousseau. Consul gerant
١٨٣٠	Schwebel. Consul general

[1] أمحمد سالم السعيد الطويل، العلاقات السياسية والتجارية بين ليبيا ودول غرب أوربا المتوسطية، المصدر السابق، ص 488.

قـائـمـة
الـبـيـبـلـيـو غـر افـيـا

المصادر المراجع:

المصادر:

- ابن غلبون محمد بن خليل،التذكار فيمن ملك طرابلس ومن كان بها من أخيار ، تح ، أحمد الطاهر الزاوي ، مكتبة النور ، ط2 طرابلس 1967 م .
- أتورى روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ت خليفة محمد التليسي، ط2،الدار العربية للكتاب، بيروت، 1991م.
- أحمد بك التائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس العرب،منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، ص1.09- احمد عطية الله ، القاموس السياسي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ،ط3 ، 1968.
- أحمد بن الضياف،إتحاف أهل الزمان في أخبار تونس وعهد الأمان, تح , لجنة كتابة الدولة لشؤون الثقافية ,نشر كتابة الدولة لشؤون الثقافية والأخبار ج3، تونس، 1963 .
- جون فرانسيس ليون، من طرابلس إلى فزان 1818م ت مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، ليبيا –تونس، 1976م.
- حسن الفقيه حسن، اليوميات الليبية، الجزء الأول 1551م-1832م،منشورات مركز الجهاد، طرابلس ،1984م.
- شارل فيرو ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ت محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قارينوس، بنغازي، ط4،1998م.
- ميكاكي رودلفو ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي، تر: طه فوزي ، نشر مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، مصر 1961.
- ن.أ بروشين، تاريخ ليبيا في العصر الحديث، ت عماد حاتم،ج1 ، منشورات مركز الجهاد، طرابلس، 1969.
- هنري حبيب، ليبيا بين الماضي والحاضر، تر: شاكر إبراهيم، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والطباعة، طرابلس ليبيا، 1981.

المراجع:

- أتوري دوسي، ليبيا من الفتح العربي حتى سنة 1911، تر: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، مكتبة الإسكندرية مصر .
- أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المطبعة الفنية الحديثة، د ب، 1971.
- اسماعيل كمالي، وثائق عن نهاية العهد القرمانلي، رسالة يوسف باشا إلى محمد الشلبي بتاريخ 6 رجب 1247 هـ الموافق 12 ديسمبر 1831م .
- إنعام محمد سالم شرف الدين، مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والاقتصادي 1711-1835، منشورات مركز الجهاد، طرابلس، 1998.
- بازاما محمد مصطفى ،الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر ، مكتبة قورينيا ، بنغازي ،ليبيا .
- بعيو مصطفى عبد الله، المختار في مراجع تاريخ ليبيا، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ليبيا.
- تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1985م
- جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500-1830) ،المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ،1987 .
- جون رايت ،تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ت عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، مكتبة الفرجاني، طرابلس 1972م.
- خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، الدار العربية للكتاب، مالطا، 1974م .
- الصالحين جبريل الخفيفي، النظام الضريبي في ولاية طرابلس الغرب، 1835-1912م، مركز الجهاد، طرابلس، 2000م.
- عبد الله خليفة الخباط، العلاقات السياسية بين إيالة طرابلس الغرب وانجلترا 1795-1832م،ط1، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، 1985.
- عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، المركز الثقافي العربي ، الرباط(عشرة أجزاء)، 1986 ، ج1 .
- علي سلطان ، تاريخ العرب الحديث، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية ، طرابلس، ب. ت.

البيبليوغرافيا :

- علي عبد اللطيف أحميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د ت.
- علي عبد اللطيف حميدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت ،1997 .
- عمر علي بن إسماعيل، انهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا (1795-1835)، مكتبة الفرجاني، طرابلس،ليبيا، ط1، بيروت ،1996.
- فاضل زكي محمد ، السياسة الخارجية وأبعادها في سياسة الدولة ، مطبعة شفيق ، بغداد ، 1976
- كامل علي الويبة، الإدارة العثمانية في طرابلس الغرب 1842م-1911م، منشورات مركز الجهاد طرابلس،2005م.
- محمد رجب الزايدي، ليبيا في العهد القرمانلي، دار الكتاب الليبي، بنغازي، 1974،ص133-140.
- محمود ناجي ، تاريخ طرابلس الغرب ، تر: عبد السلام ادهم ومحمد الأسطى ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الآداب ، 1970 .
- موري، اتليتيو: الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا،تعريب خليفة التليسي، ط1،بيروت ، 1971م.
- الهادي مصطفى بولقمة: دراسات ليبية ،ط 3، مكتبة فورينا، بنغازي، 1975.
- ياسين شهاب الموصلي، الحياة الاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي 1835-1911م،مركز الجهاد طرابلس، 2006.

المراجع الأجنبية:

- charles issawi, the economic history of the middle east 1800-1914 chicago prss.
- the pobic record office.london refs. p228.
- salaha elali, in encyclopédie de islam leiden, nouvelle edition, paris voi.

المذكرات الجامعية:

باللغة العربية:

- أمحمد سعيد سالم الطويل, العلاقات السياسية و التجارية بين ليبيا و دول غرب أوربا المتوسطية 1795-1832 , أطروحة دكتورا , جامعة الجزائر , 2008.
- جفال عمر ، دور هيئة الأمم المتحدة في استقلال ليبيا ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر 2 ، الجزائر 2012

باللغة الأجنبية:

fawzia matrud, les relations franco-tripolitaines a l'epoque de youssef pacha, entre 1795 et 1832, ecole doctorale sciences de l'homme et de la societe niversité d'orléans , 2013, p540.

المجلات

- مايون جونسون، تجارة ريش النعام في النصف الأول من القرن التاسع عشر، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول سنة 1981 ، نشر مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي.
- مجلة المستعمرات البريطانية(وثائق عن نهاية العهد القرمانلي) تقديم اسماعيل كمال. (ترجمة محمد مصطفى بازامه)، العدد الأول والثاني والثالث ، السنة الرابعة يناير ومارس سنة 1930م.
- محمد أمحمد الطوير، " زعماء الانتفاضة التي وراء الإطاحة بالأسرة القرمانلية سنة 1835م ، مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد الثاني، السنة الثانية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات: .....

تشكرات.....

الإهداء.....

قائمة المختصرات.....

المقدمة.....

الفصل التمهيدي: .....

I– الوضع الجيوسياسي لإيالة طرابلس الغرب خلال العهد القرمانلي: 10

المبحث الأول: دراسة جغرافية: 10

أ– أصل التسمية: 10

ب– الموقع الجغرافي لطرابلس الغرب: .....

ت– +69/.....11–10

ث– المساحة والأبعاد: 11

المبحث الثاني: الوضع السياسي الداخلي لطرابلس الغرب قبل وصول يوسف باشا إلى الحكم.....14–11

المبحث الثالث: العلاقات الخارجية مع انجلترا و فرنسا قبل تولي يوسف باشا الحكم...14

أ–علاقتها مع إنجلترا..... 17–14

ب–علاقتها مع فرنسا.....19–18

الفصل الأول .....

II–العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية مع انجلترا خلال عهد يوسف باشا القرمانلي:

المبحث الأول: تعريف الدبلوماسية.....21

المبحث الثاني: القنصلية الأولى الانجليزية بطرابلس الغرب: 22

المبحث الثالث: وارنجتون قنصلا انجليزيا في طرابلس: 23–24

أ–عهد القنصل وارنجتون1814/1826م ونشاطاته 24

نشاطات وارنجتون في إيالة طرابلس الغرب.....24–25

ب–تدهور العلاقات الأمريكية الطرابلسية وموقف القنصل الانجليزي من هذا النزاع.....25–26

ج–تمرد عبد الجليل بن سيف النصر على يوسف باشا وتقربه من القنصل الانجليزي.....27–28

د–محاولة وارنجتون التوسط بين يوسف باشا وعبد الجليل.....28–32

الفصل الثاني :.....

III–العلاقات الدبلوماسية الطرابلسية مع فرنسا خلال عهد يوسف باشا القرمانلي.....34

المبحث الأول: عوامل التقارب الطرابلسي الفرنسي.....34

أ–الحاجة لبناء علاقات ودية بينهما.....34–36

ب–التدخل الانجليزي لقطع العلاقات بينهما.....36–39

ج–رغبة يوسف باشا في إعادة العلاقات.....39–42

المبحث الثاني: معاهدة 1801م و عودة العلاقات الطرابلسية الفرنسية.....42-44

المبحث الثالث: موقف طرابلس الغرب من احتلال فرنسا للجزائر 1830م 45-46

الفصل الثالث: .....

IV-توتر العلاقات الطرابلسية مع انجلترا وفرنسا 48

المبحث الأول: التنافس الإنجليزي الفرنسي حول طرابلس الغرب في عهد يوسف باشا.....48-61

المبحث الثاني: المطالبة بسداد الديون الانجليزية وأثرها على العلاقات الانجليزية الطرابلسية.....62-64

أ-تدهور العلاقات الانجليزية الطرابلسية.....65-67

ب-محاولة عسكري انجليزي جديدة للضغط على يوسف باشا لسداد الديون المطلوبة 66-68

ج-إيقاف العلاقات الإنجليزية وأثرها على حكومة طرابلس.....68-70

د- محاولة يوسف باشا لإعادة العلاقات مع إنجلترا.....70-71

المبحث الثالث: المطالبة بديون فرنسا عند طرابلس الغرب.....71-72

الفصل الرابع.....

V- التدهور الاقتصادي وانهيار الحكم القرمانلي: 74

المبحث الأول: القناصلة الانجليز والفرنسيين ودورهم في تدهور اقتصاد إيالة طرابلس الغرب.....74-85

المبحث الثاني: ضعف شخصية يوسف باشا ونهاية الحكم.....85-87

3 -المبحث الثالث: تنازل يوسف باشا عن الحكم لابنه علي بك 87-90

الخاتمة.....92-94

الملاحق.....96-101

قائمة البيبليوغرافيا 103-106

فهرس المحتويات.....108-111